الشفاعة الأخروية بين الغلاة والنفاة

الباحثة/ نوره فارس مناحي راشد مسعود العجمي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي بيده ملكوت السموات والأرض، الذي يجير ولا يُجار عليه، الحمد لله الذي جعلنا من خير أمة، وأتباعاً لسيد الأنبياء والمرسلين –صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين –، أما بعد: فإن لموضوع اليوم الآخر في حياة المسلم، وفي عقيدته المكان العظيم ، فهو حجر الزاوية في العقيدة الإسلامية، وقد أولى القرآن الكريم هذا الركن اهتماماً كبيراً.

وتعتبر "الشفاعة" من أبحاث اليوم الآخر، وتنبعث أهميتها من أهمية الإيمان باليوم الآخر، ولقد حظي موضوع "الشفاعة" باهتمام العلماء –سلفاً وخلفاً– فحرروا فيه وبحثوا بحثاً جيداً، ورغم الاختلاف الواضح بين الفرق الإسلامية فيها، إلا أنهم متفقون على أصل الشفاعة يوم القيامة وذلك ؛ لأنه مقرر في القرآن الكريم.

ولما كانت ثمة أمور تتعلق بموضوع "الشفاعة" غامضة كثر الجدل حولها، وانقسمت الفرق إزاءها غالٍ فيها ، ونافٍ لها ، غالٍ وضعها في غير موضعها ، وجعلها لغير مستحقيها ، ونافٍ أنكرها ، ولم يثبتها لأهلها ؛ لذا كان من الضروري وضع النقاط على الحروف وبيان الحق في هذا الموضوع ، ولا أقول إنني لم أسبق في هذا الأمر –أبداً– وإنما إعادة لتلك المعلومات ، وصياغتها بصيغة جديدة ليس إلا سوى بعض المسائل التي هي محل اجتهاد معرض للقبول أو الرد ، فجاء هذا البحث بعنوان : " الشفاعةُ الأخرويةُ بين الغلاة والنفاة " .

حدود البحث: لكل بحث حدود يسير في فلكها، وهذا البحث يتناول المسائل العقدية المتعلقة بموضوع الشفاعة ومعتقد أهل السنة والجماعة فيها، ورأي أهم طائفتين – الغلاة والنفاة – ومناقشتهم ، وبيان الخطأ العقدي الذي خالفوا فيه النص الشرعي.

مشكلة البحث: تتحدد مشكلة كل بحث بمعرفة مباحث الموضوع بعد الخوض في غمار مسائله استنباطا وبحثا وتعمقا، وهذا الموضوع قد اشتمل على مباحث متفرقة في الاعتقاد جعلت منه محلاً للخلاف بين الفرق الإسلامية التي خاضت في غماره توافقا

لاعتقاداتها وتأصيلا لأهوائها، وانطلاقا من نظرتهم القاصرة لمعاني القرآن الكريم والسنة النبوية؛ وكان لزاماً على أهل السنة والجماعة أن يتصدوا لتلك الاعتقادات وفق منهج أصيل في مصدره مقنع في طرحه وحِجاجِه، ومن هنا ظهر موطن الإشكال في هذا البحث حيث يلزم بيان معالم الاعتقاد في مسائله العظام وتأصيلها وفق معتقد أهل السنة والجماعة مع مناقشة ودحض شبه الفرق المخالفة لمعتقد أهل السنة والجماعة.

منهج البحث: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي حيث قمت باستقراء آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الخاصة بالشفاعة ، وما يتعلق بها، وكذلك أقوال الأئمة وآراء الفرق وبيان مصادرهم التي أدت إلى الإنكار أو المغالاة في الشفاعة، ثم قمت بتحليل هذه الآيات والأحاديث من جانب عقدي، ثم استنباط ما فيها من معان ومفاهيم تتعلق بدراسة الموضوع.

عملي في البحث:

١- قمت بجمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وآثار مروية عن سلف الأمة، ونقول وأقوال المتقدمين والمتأخرين مما له صلة بالموضوع، و حاولت الاختصار، والبعد عن الحشو.

٢- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها التي وردت فيها.

٣- قمت بعزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها.

٤- شرحت الكلمات الغريبة معتمدة على الكتب الخاصة بذلك.

٥- وثقت النقول والأقوال من المصادر والمراجع التي نقلتها منها.

٦- عرفت بالمصادر والمراجع التي استفدت منها عند ذكرها لأول مرة فقط، وذلك بعزوها لمؤلفها فقط ، وأما خطتي فجاءت على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها سبب اختيار البحث ، وهدفه ، ومنهجه ، وحدوده ومشكلته .

التمهيد: وفيه مسألتان :

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً.

المسألة الثانية: الحكمة من الشفاعة.

المبحث الأول: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة حجيتها ، وأقسامها ، وشروطها ، وأنواعها ،

وفيه تمهيد ، وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بأهل السنة والجماعة.

المطلب الأول: الأدلة النقلية والعقلية على حجية الشفاعة.
المطلب الثاني: أقسام الشفاعة وشروطها.
المطلب الثالث: أنواع الشفاعة، وفيه مسألتان:
المسألة الأولى: شفاعة الأعيان، وفيه أربعة فروع:
الفرع الأول : شفاعة الأنبياء – عليهم السلام – .
الفرع الثاني: شفاعة الملائكة – عليهم السلام –ر .
الفرع الثالث: شفاعة الشهداء.
الفرع الرابع: شفاعة المؤمنين.
المسألة الثانية: شفاعة الأعمال، وفيه أربعة فروع:
الفرع الأول: شفاعة كلمة التوحيد.
الفرع الثاني: شفاعة الانتماء إلى أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – .
الفرع الثالث: شفاعة القرآن والصيام.
الفرع الرابع: شفاعة دعاء الوسيلة عقب الأذان.
المبحث الثاني: الشفاعة عند أهل البدع K والرد عليهم، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: الخوارج والمعتزلة، وفيه تمهيد ، ومسألتان:
التمهيد: مذهبهم في الشفاعة.
المسألة الأولى: شبهتهم النقلية ، والرد عليها.
المسألة الثاني: شبهتهم العقلية ، والرد عليها.
المطلب الثاني: القبوريون ونحوهم من المبتدعة، وفيه تمهيد ، ومسألتان:
التمهيد: مذهبهم في الشفاعة.
المسألة الأولى: شبهاتهم النقلية ، والرد عليها.
المسألة الثانية: شبهاتهم العقلية ، والرد عليها.
الخاتمة وفيها:

- أهم النتائج.
- التوصيات.
- فهرس المصادر والمراجع.

هذا وأحمد الله تعالى وأشكره على تيسيره وتوفيقه وعونه، فهو أهل للحمد في كل موطن، وأسأله أن يجعل كلمي وعملي مما يشمله قوله تعالى : { إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعه .... } سورة فاطر ، آية – ١٠ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

المسألة الأولى: تعريف الشفاعة لغة واصطلاحاً:

أولاً: الشفاعة لغة: من شفع إلى فلان في الأمر شفعاً، وشفاعةً طالبه بوسيلة ، أو هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة دنيوية أو أخروية[١]، قال ابن فارس – رحمه الله–: " الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة بين الشيئين، والشّفع خلاف الوتر"[٢]، وتقول: "كان وتراً فشفعته شفعاً"[٣] ، وعرفها الفخر الرازي بقوله: أن " يستوهب أحدٌ لأحد شيئاً، ويطلب له حاجة، ...كأن صاحب الحاجة كان فرداً، فصار يشفع له شفعاً، أي صار زوجاً"[٤]، وهي: "الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه ، وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى"[٥]، ومن معاني كلمة" الشفاعة" في اللغة:

١– الدعاء[٦].

٢– الإعانة[٧].

ثانياً: الشفاعة اصطلاحاً: عرفها القاضي عبد الجبار بقوله هي: " مسألة الغير أن ينفع غيره أو يدفع عنه مضرة"[٨]، وعرفها ابن الأثير بقوله: " هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم"[٩].

وعرفها ابن تيمية بقوله: "إعانة على خيرٍ يحبه الله ورسوله، ومن نفع من يستحق النفع، ودفع الضرر عمن يستحق دفع الضرر عنه"[١٠]، وعرفها الجرجاني بقوله: " هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقه"[١١] ، وعرفها الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله– بقوله: " هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة"[١٢].

---

[١] – انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٣١).

[٢]– معجم مقاييس اللغة، باب الشين والفاء وما يثلثهما(٢٠١/٣).

[٣] – الصحاح للجوهري، باب شفع(١٢٣٨/٣).

[٤] – التفسير الكبير للفخر الرازي، (٥٥/٣) بتصرف يسير.

[٥] – المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، باب: شفع(٤٧٥).

[٦] – انظر لسان العرب لابن منظور، فصل الشين المعجمة(١٨٤/٨).

[٧] – انظر المفردات في غريب القرآن، (٣٨٦).

[٨] – شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، (٦٨٨).

[٩] – النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير،باب الشين مع الفاء، مادة (شفع) (٤٨٥/٢).

[١٠] – مجموع الفتاوى لابن تيمية، (٦٥/٧).

[١١] – التعريفات للجرجاني، (٧٣).

[١٢] – شرح العقيدة الواسطية للشيخ العثيمين، (٣٩٩).

ويُلاحظ من هذه التعريفات أنها مقتصرة على الشفاعة الحسنة، والمقصود بالشفاعة هنا الشفاعة الأخروية التي هي : طلب من الله – جل جلاله – لنفع محتاج، أو دفع ضر عنه.

المسألة الثالثة: الحكمة من الشفاعة: عرفنا أن الشفاعة هي التوسط وطلب الرحمة والمغفرة من قبل العبد لربه على اختلاف عين ذلك العبد، ولما كانت حقيقة الشفاعة هي تفضل من الله – تعالى – على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة الشافعين، الذين أذن لهم في المشفوع لهم، وإذا كان الله –جل جلاله– "هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء"[1]، فلماذا الشفاعة إذن؟! فأقول وبالله التوفيق: أولاً: من المقرر أن الله – تعالى – يوفّق الشافع للشفاعة على شكل إقرار الشفاعة ، والشافع هو الذي يختار المشفوع لهم، ومثال ذلك: أن الشهيد يشفع لسبعين من أهله، فالله هو الذي أذن وقرر أن الشهيد يشفع ولولا ذلك لما استطاع الشهيد أن يشفع، بشرط أن يكون المشفوع له من أهل التوحيد–والله أعلم–.

ثانياً: إن الشفاعة نوع من الرحمة والمغفرة الإلهية، ونجدها تتجلى في:

١– إكرام الشافع ، وبيان عظم منزلته وقدره عند الله .

٢–حث المسلم على العمل الصالح في الحياة الدنيا، مثال على ذلك: الشهادة ، فالموت تكرهه النفس الإنسانية، فنجد الحث على التضحية بالنفس والمال في سبيل الله.

٣– إفاضة الكرم والرحمة الإلهيين على المشفوع لهم.

---

[1] – شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، (٢٩٣).

المبحث الأول: الشفاعة عند أهل السنة والجماعة حجيتها ، وأقسامها ، وشروطها ، وأنواعها، وفيه تمهيد ، وثلاثة مطالب:

التمهيد: التعريف بأهل السنة والجماعة:نشأ مصطلح أهل السنة والجماعة –لا سيما بعد ظهور البدع والفرق– استناداً إلى الأحاديث والآثار الداعية إلى الارتباط بالجماعة، والتمسك بالسنة، والمحذرة من الفرقة والاختلاف في الدين، والابتداع فيه[1]، ومستندهم الأدلة الصريحة الواضحة الدلالة من الكتاب والسنة، كقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾ [2]، وقال –عليه الصلاة والسلام–: " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا، فمات إلا مات ميتة الجاهلية.."[3]، وقوله –صلى الله عليه وسلم–: "...عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[4] ، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: " ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم"[5].

ومصطلح أهل السنة له إطلاقان: عام وخاص.

أما الإطلاق العام: فالمراد به ما يكون في مقابل الشيعة، فيدخل جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام –عدا الشيعة– في مفهوم أهل السنة ، وأما الإطلاق الخاص: فالمراد به ما يكون في مقابل أهل البدع والمقالات المحدثة كالشيعة[6]،

---

[1] – انظر: ابن تيمية والتصوف لمصطفى حلمي، (٨).

[2] – سورة الأنفال: الآية: (٤٦).

[3] – رواه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي –صلى الله عليه وسلم– "سترون بعدي أمورا تنكرونها"، (٥٩/٩)، رقم الحديث:٧٠٥٤، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، (١٤٧٧/٣)، رقم الحديث: ١٨٤٩، واللفظ للبخاري.

[4] – رواه أبو داوود في سننه: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، (١٥/٥–١٣)، رقم الحديث:٤٦٠٧، والترمذي في سننه: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع(٤٣/٥)، رقم الحديث ٢٦٧٦، واللفظ لأبي داوود.

[5] – منهاج السنة لابن تيمية(٦/٢–١).

[6] – سموا بذلك لمشايعتهم علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وقولهم بإمامته، نصا ووصية: إما جليا وإما خفيا، وأن الإمامة لا تخرج من ولده إلا بظلم من غيره أو تقية منه، والإمامة عندهم من أصول الدين، وقالوا بوجوب العصمة للأنبياء والأئمة عن الكبائر والصغائر، والتولي والتبري: قولا وفعلا وعقدا، إلا في حالة التقية، مع خلاف لبعض الزيدية في ذلك. وقد يطلق اسم الرافضة على الشيعة وهذا كثير، وقد يراد بالرافضة الفرقة التي في مقابل الزيدية، وذلك لرفضهم زيد بن علي في قتاله هشام بن عبدالملك. انظر: الملل والنحل للشهرستاني، (١٤٦/١–١٤٧)، ومقالات الإسلاميين للأشعري، (٢٥).

والخوارج[1]، والجهمية[2]، المعتزلة[3]، والمرجئة[4]، والأشاعرة[5]، وغيرهم من أهل البدع، فهؤلاء لا يدخلون في مفهوم أهل السنة بالإطلاق الخاص: قال ابن تيمية -تكملة لكلامه المتقدم-: "...وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله -تعالى- ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وأن الله يُرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة"[6]. وأهل السنة والجماعة[7]أو" الفرقة الناجية، هم الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء

---

[1] - سموا بذلك لخروجهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-، يجمعهم إكفار: علي، وعثمان، والحكمين، وأصحاب الجمل، والخروج على السلطان الجائر، وتكفير صاحب الكبيرة وتخليده خلافا للنجدات منهم، وتفرقوا إلى أكثر من عشرين فرقة: انظر: مقالات الإسلاميين(٨٤)، والملل والنحل،(١/١١٤)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم(٥/٥١-٥٦).

[2] -هم أصحاب جهم بن صفوان السمرقندي، تلميذ الجعد بن درهم، قال بفناء الجنة والنار، وأن الإيمان هو المعرفة، وقال بالجبر المحض، وأن القرآن مخلوق، انظر: مقالات الإسلاميين(١١٤)، الملل والنحل للشهرستاني(١/٨٦-٨٨)، الفرق بين الفرق للبغدادي،(٢١١-٢١٢).

[3] - سموا بذلك لاعتزال واصل بن عطاء حلقة الحسن البصري بعد مخالفته في حكم مرتكب الكبيرة، وهم أكثر من اثنتي عشرة فرقة، يجمعهم: القول بنفي الصفات الأزلية، وهو عندهم التوحيد، وأن كلام الله محدث، ومنه أن القرآن مخلوق، ونفي القدر، وأن العباد خالقون لأفعالهم، ووجوب إنفاذ الوعد والوعيد، وهو العدل عندهم،ومنه وجوب فعل الصلاح والأصلح على الله (تعالى)، وأن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل الكفر، وهو المنزلة بين المنزلتين، وإذا مات من غير توبة حكموا بتخليده في النار، وقالوا بوجوب التحسين والتقبيح العقليين، أي قبل ورود الشرع.انظر: الملل والنحل(١/٤٣)، الفرق بين الفرق(١١٤) وما بعدها.

[4] - الإرجاء على معنيين: أحدهما: التأخير، والمرجئة قد أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، والثاني: إعطاء الرجاء، والمرجئة قالوا: لا تضر مع الإيمان معصية. والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة الجبرية، ومرجئة القدرية، والمرجئة الخالصة، انظر: الملل والنحل للشهرستاني(١/١٣٩)، والفرق بين الفرق(٢٠٢).

[5] - هم أصحاب أبي الحسن الأشعري، تتلمذ على يد أبي علي الجبائي المعتزلي حتى صار رأسا في المعتزلة، ثم فارقهم إلى مذهب وسط بين أهل الحديث و المعتزلة، وهذا الذي ينتسب إليه جمهور الأشاعرة، ثم رجع إلى معتقد السلف أصحاب الحديث، كما صرح بذلك في كتبه المتأخرة: كالإبانة، ومقالات الإسلاميين، والأشاعرة يثبتون لله -تعلى- سبع صفات: السمع والبصر والقدرة والإرادة والحياة والعلم والكلام، وأهم خلاف لهم مع أهل السنة في الصفات، وفي كلام الله -تعالى-، انظر: الملل والنحل(١/٩٤)، البداية والنهاية لابن كثير(١١/١٨٧).

[6] - منهاج السنة لابن تيمية،(٢/٢٢١).

[7] - يُقصد بأهل السنة والجماعة- كما يقول ابن حزم- الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين- رحمة الله عليهم- ثم أصحاب الحديث ، ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً اقتدى إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها-رحمة الله عليهم-، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢/١١٣، وسُموا بأهل السنة لاستمساكهم واتباعهم لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وسُموا بالجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على الحق، ولم يتفرقوا في الدين بخلاف غيرهم من الفرق الهالكة الذين اتبعوا البدع، وتفرقوا في دينهم كل حزب بما لديهم فرحون.

المجتهدين السائرين على منهج الكتاب والسنة ومن تبعهم على ذلك إلى أن يرث الله الأرض"[1].

المطلب الأول: الأدلة النقلية والعقلية على حجية الشفاعة:

أولا: الأدلة من القرآن الكريم.

إن الأدلة على إثبات الشفاعة يوم القيامة بأنواعها مستفيضة في الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح، فقد ورد في القرآن الكريم آيات في ذلك تتعلق بأمر الشفاعة في الآخرة، وذلك من حيث إثباتها والتأكيد على شروطها، ونفيها عن غير مستحقيها، ونحو ذلك وسيأتي الكلام مفصلا عن شروط الشفاعة في موضعه بإذن- الله تعالى-[2].

- الآيات الدالة على عدم تحقق الشفاعة إلا بشروطها ومنها:

قول الله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ [3]﴾، وقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ [4]﴾، وفيه دليل على عزة الجليل وكبريائه وتصرفه[5]، فلا يملك أحد الشفاعة إلا من بعد صدور الأمر والموافقة من الله جل جلاله ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[6]، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[7]، وقول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[8].

- الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير مستحقيها، ومنها:

قول الله تعالى عن الكفار:﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[9]، فلا ناصر ، ولا معين ، ولا حميم مطاع إلا الله تعالى:

---

[1] - انظر: تنبيه أولى الأبصار، لصالح السحيمي، ص ٢٧٢

[2] - في المطلب الثاني.

[3] - سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

[4] - سورة الأنبياء: الآية: (٢٨).

[5] - انظر: الكشاف للزمخشري، (٣٢٨/٢).

[6] -سورة طه: الآية: (١٠٩).

[7] - سورة يونس: الآية: (٣).

[8] - سورة النجم: الآية: (٢٦).

[9] - سورة الأنعام: الآية: (٥١).

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾[2]، ونفي الشفاعة عن غير مستحقيها من الكفار وغيرهم من أهل الشرك والإلحاد في هذه الآيات وغيرها يدل بمفهومه على انتفاع المؤمنين بها "ولا ينافي مذهبنا في إثبات الشفاعة للمؤمنين، لأن شفاعة الملائكة للمؤمنين إنما تكون بإذن الله – تعالى – لقوله:" من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه " ، فلما كانت تلك الشفاعة بإذن الله كانت في الحقيقة من الله – تعالى – "[3].

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية:

لقد ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر، وهي صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة ، فإذا كان القرآن الكريم قد أكد على الشروط والضوابط للشفاعة عند الله – تعالى – يوم القيامة، فإن السنة النبوية قد شرحت ووضحت أنواع الشفاعة وصفتها، وكذلك الشفعاء والمشفوع لهم كما سأوضح ذلك لاحقاً بإذن –الله تعالى–. قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: " وأحاديث الشفاعة كثيرة ومتواترة، ومنها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده"[4]، وقال السفاريني–رحمه الله–: " شفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي"[5].

ومن هذه الأدلة ما يأتي:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع"[6]، وعن جابر بن عبد الله –رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجلت من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة،

---

[1] – سورة غافر: الآية: (١٨).

[2] – سورة المدثر: الآية: (٤٨).

[3] – التفسير الكبير للفخر الرازي، (٢٣٣/١٢).

[4] – مجموع الفتاوى، (٣١٤/١).

[5] – لوامع الأنوار البهية للسفاريني، (٢٠٨).

[6] – صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، (١٧٨٢/٤)، رقم الحديث: ٢٢٧٨.

وبعثت للناس عامة"[1]، وكذلك في حديث الشفاعة الطويل قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : ...فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله"[2]." والأخبار في الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها، وهي كلها متواترة متوافية على خروج الموحّدين من النار بشفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإن اختلفت ألفاظها"[3]. فهذه بعض أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الشفاعة اكتفي بها حتى لا يحصل تطويل أو تكرار، وسيأتي إيراد أحاديث أخرى في مكانها بإذن –الله تعالى–.

ثالثاً: الإجماع: لقد أجمع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ما ورد في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

فلقد أثبتها الصحابة –رضي الله عنهم– الذين رووا أحاديث الشفاعة، ثم من بعدهم التابعون–رحمهم الله–، ثم أتباعهم إلى عصرنا الحاضر إلى ما شاء الله، ولم ينكر الشفاعة أو بعض أنواعها إلا أهل البدعة والشناعة ، وقد حكى الإجماع على إثبات الشفاعة جملة من الأئمة والمصنفين، فممن تكلم في هذا الشأن شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– حيث قال : " وأما شفاعته – صلى الله عليه وسلم – لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع.."[4]، ونقل الإمام النووي–رحمه الله– عن القاضي عياض– رحمه الله–: "أنه قال في الشفاعة: " وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها"[5] ، وقال ابن المرتضى اليماني(ابن الوزير)–رحمه الله–: " وأحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحّدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة

---

[1] – صحيح البخاري: كتاب التيمم، الباب الأول(٨٦/١)، رقم الحديث: ٣٣٥، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، الباب الأول(٣٧١/١)، رقم الحديث:٥٢١، واللفظ للبخاري.

[2] – صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم(١٨٠/٩)، رقم الحديث:٧٥١٠، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها(١٨٢/١–١٨٤)، رقم الحديث:١٩٣، واللفظ للبخلري.

[3] – تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني، (٤١٨).

[4] – مجموع الفتاوى، (١٤٨/١).

[5] – شرح صحيح مسلم للنووي، (٣٥/٣).

في ألفاظها"[1]."والحاصل أن الأمة قد أجمعت على جواز الشفاعة ووقوعها من الأنبياء، والأولياء، والصالحين، والملائكة، وغيرهم يوم القيامة بعد الإذن من الله لمن يشاء الله العفو عن ذنبه، والمغفرة له، لا لكل مذنب ولا من دون إذن"[2] ، ونجد أن أئمة أهل السنة والجماعة وعلماءهم قد نصوا على إثبات الشفاعة في مؤلفاتهم المختلفة ، وأنها تعتبر حقاً، خلافاً لما جاء به أهل البدعة والشناعة.

رابعاً: دليل الشفاعة عقلاً: إن مذهب أهل السنة والجماعة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً[3]، وإن العقل السليم لا يرفض فكرة الشفاعة يوم القيامة، فالإنسان مهما بلغت ذنوبه من صغائر وكبائر، وأتى ربه بقلب سليم غير شاك، فإنه قد يُشمل بالعفو الإلهي، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [4]وإذا كان العفو الإلهي عن الذنوب هو مقرر بالنصوص القطعية كقوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [5]، فلماذا يعترض على وقوع الشفاعة ؟ وهل هي إلا مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية ؟ فمذهب أهل الحق" أن الشفاعة حق، وقد أنكرها منكرو الغفران، ومن جوّز، العفو والصفح بدءاً من الله تعالى فلا يمنع الشفاعة، ومنهم من يمنعها على مصيره إلى تجويز الغفران وذلك نهاية في الجهل لا يلتزمها ذو تحصيل"[6]، والشفاعة لا تعني إهمال جانب العمل العبادة والتواكل على الشفاعة يوم القيامة–قطعاً– يقول الله تعالى: ﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[7]، وفي المقابل فإن العمل بذاته لا يدخل الجنة، يقول – صلى الله عليه وسلم – : " سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل أحد الجنة عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة"[8]، فكيف التوفيق بين النصوص؟ أقول وبالله التوفيق: أن دخول الجنة بفضل الله ورحمته، والأعمال لرفعة الدرجات في الجنة ، وأما قوله: ﴿ تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا

[1] – إيثار الحق على الخلق لابن الوزير اليماني، (٢/٤٥٠).

[2] – الدين الخالص لمحمد صديق خان، (٢/٢٢).

[3] – انظر: شرح صحيح مسلم للنووي، (٣/٣٥).

[4] – سورة النساء: الآية: (٤٨)

[5] – سورة الشورى: الآية: (٢٥).

[6] – فتح الباري لابن حجر، (١١/٥٢٠).

[7] – سورة الأعراف: الآية: (٤٣).

[8] – رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل،(١/١٧)، رقم الحديث:٦٤٦٧ ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله،(٨/١٤١)، رقم الحديث: ٢٨١٨، واللفظ لمسلم.

كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾[1] فيقول ابن كثير –رحمه الله–: " أي أعمالكم الصالحة كانت سبباً لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يدخل أحد بعمله الجنة ، ولكن برحمة الله وفضله ، وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات"[2].

وقد أجمع المسلمون على جواز الشفاعة نقلاً وعقلاً، وعلى الرغبة في أن يرزقهم الله شفاعة الشفعاء يوم القيامة، ولم ينكر ذلك أحد[3]، حتى ظهر أهل البدعة والشناعة الذين منعوا ذلك على الله مستدلين بالآيات القرآنية فيؤولونها وفق مذاهبهم المنحرفة، وهذا ناتج عن هوى وجهل ولا حول ولا قوة إلا بالله. فالإيمان بثبوت الشفاعة واجب وهو مذهب أهل الحق؛ أهل السنة والجماعة وهي ثابتة يوم القيامة بأقسامها وشروطها وأنواعها، فلا يجوز التكذيب أو التشكيك بذلك.

المطلب الثاني: أقسام الشفاعة وشروطها.

أولاً: أقسام الشفاعة: تنقسم الشفاعة باعتبار قبولها ، أو ردها من الله –عز وجل– إلى قسمين:

الأول: الشفاعة المنفية: وهي التي تطلب من غير الله –عز وجل– كطلبها من الأصنام والأوثان والملائكة وغيرهم، مما عُبد من دون الله –عز وجل–، قال الإمام أحمد –رحمه الله–: "وأما الشفاعة المنفية الباطلة فهي التي تُطلب من غير الله–عز وجل– أو بغير إذنه أو لأهل الشرك، قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[5]"[6] ، وقال ابن القيم–رحمه الله–: " والتي نفاها الله: هي الشفاعة الشركية، التي في قلوب المشركين، المتخذين من دون الله شفعاء، فيعاملون بنقيض قصدهم من شفعائهم، ويفوز بها الموحدون"[7]، وقد ذكر الله –عز وجل– حال من عمل مبيناً ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ

---

[1] – سورة الأعراف: الآية: (٤٣).
[2] – تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (١٣٧/٤).
[3] –انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني، (٣٩٤).
[4] – سورة غافر: الآية: (١٨).
[5] – سورة المدثر: الآية: (٤٨).
[6] – المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، (٢١٣/٢).
[7] – مدارج السالكين لابن القيم، (٣٤٠/١)

بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[1]." فالقول فيها:﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾، أي الذين عبدتموهم وجعلتموهم شركاء-يريد الأصنام- وكان المشركون يقولون: الأصنام شركاء لله شفعاؤنا عنده"[2] ، ومن الشفاعة المنفية الشفاعة التي تطلب بغير إذن من الله -عز وجل-، قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-" : ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع، والله قد أمر بذلك، لكن الداعي الشافع: ليس له أن يدعو ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهى عنها"[3] ، ومن الشفاعة المنفية التي تُطلب لأهل الشرك، فالشفاعة المأذون بها لا تنال المشركين والكافرين واليهود والنصارى والمنافقين وأمثالهم ، فهؤلاء لا شفاعة لهم أصلا ؛ لأنهم ليسوا من أهل التوحيد والإخلاص، فلا تنالهم الشفاعة، ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، فتجد أن الأمر الرئيس في الشفاعة عند الله -عز وجل- يوم القيامة هو الإيمان، فمن لا إيمان له لا شفاعة له. فكانت هذه الشفاعة منفية ؛ لأنها تجعل لله شريكاً يُرغب إليه ويُحب كما يُحب الله تعالى أو أعظم، أو تكون بغير إذنه ؛ لأنه ارتكاب لما لم يأذن الله به، أو تكون لمن لا تنطبق عليه لخروجه عن خط المشفوع لهم، أو تكون بأمر لم يحبه الله ولا رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، وهذه الشفاعة ينطبق عليه قول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [4].

فالشفاعة المنفية تعتبر وسيلة باطلة لا تزيد صاحبها من الله إلا بعداً، فلا تقبل شفاعة الشافع ولا تنفع المشفوع له شفاعة بها.

الثاني: الشفاعة المثبتة: هي الشفاعة التي أثبتها الله – تعالى – لأهل الإسلام من أهل الإخلاص والتوحيد وبينها النبي – صلى الله عليه وسلم – في سننه ، ولذا قال- صلى الله عليه وسلم – عندما سئل: " من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه أو نفسه"[5].

---

[1]- سورة الأنعام: الآية: (٩٤).

[2] – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٤٣/٧).

[3] – مجموع الفتاوى، (١٣٠/١).

[4] – سورة البقرة: الآية: (٢٥٤).

[5] – رواه البخاري: كتاب العلم، باب الحرص على الحديث(٣٦/١)، رقم الحديث:٩٩، وأحمد في مسنده(٣٧٣/٢)، واللفظ للبخاري.

قال ابن القيم–رحمه الله–: " والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله: هي الشفاعة الصادرة عن إذنه لمن وحَّده"[1]. فالأصل في وقوع الشفاعة هو تجريد التوحيد لله – تعالى – ومخالفة ما كان عليه المشركون، وهذه من أهم الأمور التي يتميز بها أهل التوحيد عن غيرهم.

ثانيا: شروطها: للشفاعة المثبتة شروط لابد من توافرها حتى تقبل عند الله–عز وجل– وهي:

الأول: إذن الله –سبحانه وتعالى– للشافع أن يشفع:

فهو من الشروط الرئيسية في قبول الشفاعة فلابد من إذن الله – سبحانه وتعالى – يوم القيامة لم يشفع من الشفعاء، قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[2]، قال ابن جرير– رحمه الله–: " من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم، إلا أن يُخليه ويأذن له بالشفاعة لهم،..ولا يشفع عندي أحد–أي عند الله عز وجل– إلا بتخليتي إياه والشفاعة لمن يشفع له، من رُسلي وأوليائي وأهل طاعتي"[3] ، فالأصل في ذلك الإذن التام من الله –سبحانه وتعالى– وهو يعتبر قيد من قيود إثباتها ، وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه–عز وجل– أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة"[4]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله–: "فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع، لم يكن مستقلاً بالشفاعة، بل يكون مطيعاً له أي تابعاً له في الشفاعة، وتكون شفاعته مقبولة يكون الأمر كله للآمر المسئول، وقد ثبت بنص القرآن في غير آية، أن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه"[5].

الثاني: رضاه عن المشفوع له:

كما تقدم لابد من إذن الله–سبحانه وتعالى– في الشفاعة، كذا لابد من رضاه– سبحانه وتعالى– عن المشفوع له، وكذلك رضاه عن الشافع، ولذا يقول الله– تعالى–: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾[6]، يقول ابن عباس–رضي الله عنه– في هذه الآية:

---

[1] – مدارج السالكين، (٣٤٠/١).

[2] – سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).

[3] – جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، (١٠/٣).

[4] – تفسير القرآن العظيم، (٣١٦/١).

[5] – مجموع الفتاوى، (١١٨/١).

[6] – سورة الأنبياء: الآية: (٢٨).

"الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله"[1] ، ويقول الله -تعالى-: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[2]، قال الإمام القرطبي-رحمه الله-: " هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتهم وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له"[3]، فالآية تنفي الشفاعة عن الملائكة إلا بشرطين هما: إذن الله ورضاه، والرضا من الله -عز وجل- للعبد يكون بسبب القول والعمل الذي ينتج من العبد.

الثالث: إسلام المشفوع له: وذلك لورود الأدلة الصريحة في ذلك بأن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد، فليست يوم القيامة عامة لكل أحد مؤمناً كان أو كافراً، وإنما هي على اختلاف أنواعها خاصة بالمؤمنين الذين ماتوا على التوحيد، فالله -عز وجل- لا يرضى لعباده الكفر، وقد توعد الكفار بالخلود في النار يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[4]، قال القرطبي-رحمه الله- : " هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين، وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم، ثم شُفع فيهم، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة، فأخرجوا من النار، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم"[5]، وقال ابن كثير-رحمه الله-: ".. فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع ؛ لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً فإما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإن له النار لا محالة خالداً فيها"[6].

وجاء في الصحيح عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو من نفسه"[7]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق، وهي شهادة لا إله إلا الله، لا تنال من تولى غير الله، لا الملائكة، ولا

[1] - جامع البيان، (١٨/٩).
[2] - سورة النجم: الآية: (٢٦).
[3] - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (١٠٤/١٧).
[4] - سورة المدثر: الآية: (٤٨).
[5] - المصدر السابق: (٨٨/١٩).
[6] - تفسير القرآن العظيم، (٤٧٦/٤).
[7] - رواه البخاري: كتاب العلم،باب الحرص على الحديث،(٣١/١)، رقم الحديث:٩٩.

الأنبياء، ولا الصالحين"[١]، فبين اقتصار الشفاعة على أهل التوحيد، بخلاف من أشرك بالله – تعالى – بأي وجه كان. "وأما الشفاعة والدعاء فانتفاع العباد بها موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم"[٢] لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[٣]. فتحقق شروط الشفاعة سبب من أسباب قبولها عند الله – عز وجل– ولذا ذكر ابن القيم–رحمه الله– هذه الشروط وسماها أصولاً بقوله: " فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده، وإتباع رسوله – صلى الله عليه وسلم –"[٤] ، وحقيقة شروط الشفاعة أن الله –عز وجل– إذا أراد رحمة عبده ونجاته من النار أذن لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه، وكرامة للشافع، وكذلك الرضا منه–عز وجل– في القول والعمل والتوفيق للتمسك بالتوحيد وكلمة الإخلاص قولاً وعملاً، وإن لم يكن ذلك ولم يأذن الله له لم تنفعه كما في شفاعة نوح–عليه السلام– لابنه، وإبراهيم–عليه السلام– لأبيه، ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – لعمه في استغفاره، فردت شفاعاتهم ؛ لأن الله –عز وجل– لم يأذن لهم بذلك الإذن الشرعي في أن يشفعوا.

المطلب الثالث: أنواع الشفاعة، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: شفاعة الأعيان، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول : شفاعة الأنبياء – عليهم السلام – .

أولا– شفاعة النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– : لقد خص الله –تبارك وتعالى– نبيه محمداً –صلى الله عليه وسلم– بخصائص عظيمة ومنح وعطايا كريمة ليس لأحد عليها فيها مزيد ولا يلحقه عبد من العبيد فيها، ومنها: ما اختص به النبي–صلى الله عليه وسلم– دون أمته مع مشاركة الأنبياء السابقين له فيها كتخصيصه –صلى الله عليه وسلم– في بعض أنواع الشفاعة يوم القيامة عند رب العزة والجلال، فمنها المتفق في خصوصيتها، ومنها المختلف فيها.

---

[١] – مجموع الفتاوى، (١٤/٤١٢).

[٢] – نفس المصدر، (١/١٤٥).

[٣] – سورة التوبة: الآية: (١١٣).

[٤] – مدارج السالكين، (١/٣٤١).

*الشفاعة المتفق في خصوصيتها بالنبي –صلى الله عليه وسلم–:

١- الشفاعة العظمى: وهي أعظم الشفاعات وأعمّها ؛ لأنها واردة من النبي–صلى الله عليه وسلم– من أجل الشفاعة عند الله –عز وجل– ليقضي بين خلقه جميعا، ولم تكن مختصة بأمة دون أخرى، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف على اختلاف أديانهم لفصل القضاء بين الناس، فهذا شامل للمؤمنين والكفار، فهي شفاعة يومئذ لبدء الحساب ولن ينجي الكفار من النار، وهذه الشفاعة هي المقام المحمود –على قول أكثر العلماء[١]–، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [٢].

وعن عبدالله بن عمر–رضي الله عنه– يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً[٣]كل أمة تتبع نبيها يقولون : يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي– صلى الله عليه وسلم – فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود"[٤].

قال ابن جرير–رحمه الله–" "فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه – صلى الله عليه وسلم – يوم القيامة للشفاعة بين الناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم"[٥] ، وقال الإمام أحمد–رحمه الله–: "قال العلماء: المقام المحمود هي شفاعته صلى الله عليه وسلم للناس في الموقف، ليريحهم مما هم فيه من شدة"[٦] ، وقال ابن خزيمة–رحمه الله–"...وأن المقام الذي يشفع فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – لأمته هو المقام المحمود الذي وعده الله –عز وجل– في قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ "[٧] ، وقال الإمام ابن حجر–رحمه الله–: "والراجح أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة"[٨].

[١] – انظر تفصيل ذلك في: التوحيد لابن خزيمة،(٢/٧٢٤)، تفسير الطبري، (١١١٢/١٦)، تفسير القرطبي،(٣٠٩/١٠)، فتح الباري،(٤٠٠/٨).

[٢] – سورة الإسراء: الآية: (٧٩).

[٣] – جثا: جمع جثوة بالضم، وهو الشيء المجموع، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، باب الجيم مع الثاء، مادة(جثا)(٢٣٩/١).

[٤] – رواه البخاري: كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب قوله تعالى: {﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾}(١٠٨/٦)حديث رقم:٤٧١٨.

[٥] – جامع البيان في تأويل القرآن، (١٣١/٨).

[٦] – المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، (٢١٢/٢).

[٧] – التوحيد لابن خزيمة، (٧٢٤/٢).

[٨] – فتح الباري لابن حجر، (٤٣٥/١١).

٢-شفاعته – صلى الله عليه وسلم – لأهل الجنة ليدخلوها:

عن أنس بن مالك-رضي الله عنه- انه قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم -: "أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً، وفي لفظ: "...، وأنا أول من يقرع باب الجنة"[١] ، وعنه -رضي الله عنه-قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "آتي باب الجنة يوم القيامة، فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك"[٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيميه-رحمه الله-: "وأول من يستفتح باب الجنة: محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته"[٣] ، "وذلك أن أهل الجنة إذا عبروا الصراط، وقفوا على قنطرة، فيقتص لبعضهم من بعض، وهذا القصاص غير القصاص الذي كان في عرصات القيامة، بل هو قصاص أخص، يطهر الله فيه القلوب، ويزيل ما فيها من أحقاد وضغائن، فإذا هُذّبوا ونُقوا، أذن لهم في دخول الجنة. ولكنهم إذا أتوا إلى الجنة، لا يجدونها مفتوحة كما يجد ذلك أهل النار، فلا تفتح الأبواب، حتى يشفع النبي-صلى الله عليه وسلم-لأهل الجنة أن يدخلونها، فيدخل كل إنسان من باب العمل الذي يكون أكثر اجتهادا فيه من غيره، وإلا فإن المسلم قد يدعى من كل الأبواب. وهذه الشفاعة يشير إليها القرآن، قال تعالى في أهل الجنة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴾[٤]، وهذا يدل أن هناك شيئا بين وصولهم إليها وبين فتح الأبواب"[٥]." وهاتان الشفاعتان خاصتان به – صلى الله عليه وسلم – "[٦]، أي الشفاعة العظمى، والشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة.

٢- شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار: وهذه الشفاعة خاصة بالنبي – صلى الله عليه وسلم – دون غيره وهي شفاعته في عمه أبي طالب، وذلك ؛ لأنه أحسن إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم – إحسانا كبيرا، فاستحق هذه الشفاعة من النبي -صلى الله عليه وسلم- بسبب نصرته ودفاعه عنه ، "وكان من حكمة الله -عز وجل- أن بقي (أبو طالب) على كفره ؛ لأنه لولا

---

[١] – رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا أول الناس يشفع في الجنة)(١٨٨/١)، رقم الحديث:١٩٦.

[٢] – المصدر السابق،(١٨٨/١)، حديث رقم:١٩٧.

[٣] – مجموع الفتاوى، (١٤٧/٣).

[٤] – سورة الزمر: الآية: (٧٣).

[٥] – شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، (٤٠٣).

[٦] – مجموع الفتاوى، (١٤٧/٣).

كفره، ما حصل هذا الدفاع عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بل كان يُؤذى كما يُؤذى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، لكن بجاهه العظيم عند قريش وبقائه على دينهم صاروا يعظمونه، وصار للنبي - صلى الله عليه وسلم - جانب من الحماية بذلك"[١]، والدليل على هذه الشفاعة ما ورد عن العباس بن عبدالمطلب-رضي الله عنه-، قال للنبي-صلى الله عليه وسلم- ما أغنيت عن عمك، فإنه يحوطك ويغضب لك، قال: "هو في ضحضاح[٢] من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"[٣] ، ومما يعلم أن هذه الشفاعة التي نفعت أبا طالب هي شفاعة تخفيف عليه من دركات النار، وليست شفاعة إخراج، ولكن يعتبر أهون أهل النار من الكفار عذاباً.

٣- شفاعته - صلى الله عليه وسلم - أن يدخلوا الجنة بغير حساب:

عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال النبي-صلى الله عليه وسلم- : "عرضت عليّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير، قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عكاشة"[٤].

قال ابن حجر-رحمه الله -:"...فإن السبعين ألفا المذكورين من جملة أمته، لكن لم يكونوا في الذين عرضوا إذ ذاك فأريد الزيادة في تكثير أمته بإضافته السبعين ألفا إليهم"[٥] ، وقال السفاريني-رحمه الله-: " يشفع - صلى الله عليه وسلم - عند ربه في

---

[١] - شرح العقيدة الواسطية، (٤٠٤).

[٢] ضحضاح: مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار،انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر(٧٥/٣).

[٣] - رواه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب(٦٥/٥)، رقم الحديث:٣٨٨٣، ومسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه(١٩٥/١)، حديث رقم: ٢٠٩، واللفظ للبخاري.

٤- رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب(١٤٠/٨)، رقم الحديث: ٦٥٤١، مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب و لا عذاب(١٩٩/١)، رقم الحديث:٢٢٠، واللفظ للبخاري.

[٥] - فتح الباري، (٤١٦/١١).

إدخال قوم من أمته الجنة بغير حساب، فإن هذه خاصة به–صلى الله عليه وسلم– كما قال القاضي عياض، والإمام النووي، وجزم بالاختصاص الحافظ السيوطي، في أنموذج اللبيب"[١]، فهذا إكرام من الله–عز وجل– لرسوله–صلى الله عليه وسلم–، ولأمته.

٤– خصوصيته في تأجيل دعوته لأمته – صلى الله عليه وسلم –: هذه دعوة تأجيلها خاص بالنبي–صلى الله عليه وسلم – ؛ لأن إخوانه من الأنبياء دعوا بالدعوات التي أعطاهم الله إياها ولم يثبت تأخير شيء منها، قال الإمام ابن خزيمة–رحمه الله–: "إن الله –عز وجل– أعطى كل نبي دعوة وعد إجابتها، فتعجل كل نبي منهم –صلى الله عليهم وسلم– مسألته فأعطى سؤله، وأخر نبينا – صلى الله عليه وسلم – دعوته ليجعلها شفاعة لأمته"[٢].

فهي مخصوصة بأمته–صلى الله عليه وسلم– مضمونة الإجابة من الله–عز وجل– و لكونها مرتبطة بالشفاعة يوم القيامة ذكرتها في هذا الموطن، لثبوت ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم– بقوله: "لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"[٣].

قال القاضي عياض–رحمه الله–: "قال أهل العلم: دعوة أعلم أنها تستجاب لهم، ويبلغ فيها مرغوبهم، وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا–صلى الله عليه وسلم– منها ما لا يُعد، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضُمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه، يدعون بها على يقين من الإجابة"[٤]، فهذه الدعوة هي شفاعته – صلى الله عليه وسلم– لأمته يوم القيامة سواء كانت لأهل الجنة ليدخلوها، أو لأهل الذنوب والعاصي من أمته خاصة.

*الشفاعة المختلف في خصوصيتها بالنبي– صلى الله عليه وسلم–:

١– شفاعته –صلى الله عليه وسلم– في قوم استوجبوا النار بأعمالهم فلا يدخلونها:

وفي ذلك ما ورد عن النبي–صلى الله عليه وسلم–قال: " أمر بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال: فأنطلق واستأذن على الرب–عز وجل– فيأذن لي فأسجد

---

[١] – لوامع الأنهار البهية، (٢/٢١١) .

[٢] – كتاب التوحيد، (٢/٦٢٢).

[٣] – رواه البخاري: كتاب الدعوات، الباب الأول(٨/٨٢)، رقم الحديث:٦٣٠٥، ومسلم: كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته(١/١٨٨)، رقم الحديث:١٩٨.

[٤] – الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، (١/٣٠٢).

وأقول: يا رب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، قال فيقول لي: انطلق فأخرج منهم، قال: فانطلق وأخرج منهم من شاء الله أن أخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد ننشدك الشفاعة فأرجع إلى الرب فأستأذن فيؤذن لي فأسجد، فيقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه واشفع تشفع، فأثنى على الله بثناء لم يثن عليه أحد، أقول: يا رب قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم قال: فأقول يا رب، أخرج منهم من قال: لا إله إلا الله، ومن كان في قلبه حبة من إيمان، قال: فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي، قال: فأنطلق وأخرج من شاء الله أن أخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيّرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به أدخلكم النار، قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكاً بكف من ماء فينضح بها في النار، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون ويدخلون الجنة فيقال: انطلقوا فتضيفوا الناس، فلو أنهم جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة ويسمون المجردين"[١]. قال ابن كثير-رحمه الله-: "وهذا يقتضي تعداد هذه الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألا يدخلوها، ويكون معنى قوله(أخرج) أي(أنقذ) بدليل قوله-صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك: "ويبقى قوم فيدخلون النار"[٢] ، وقد نص على هذا النوع من الشفاعة أئمة من المسلمين، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيميه-رحمه الله- حيث قال: "فيشفع -صلى الله عليه وسلم- فيمن استحق النار أن لا يدخلها"[٣]، وقال الإمام أحمد-رحمه الله-: "شفاعته-صلى الله عليه وسلم- لبعض العصاة من أمته قد استوجبوا النار أن لا يدخلوها"[٤]، وقال شارح الطحاوية-رحمه الله-: "شفاعته في أقوام...، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار، أن لا يدخلونها"[٥]، "فهي ليست خاصة بالنبي- صلى الله عليه وسلم-، بل تكون للنبيين، حيث يشفعون في عصاة قومهم، وللصديقين يشفعون في عصاة أقاربهم وغيرهم من المؤمنين، وكذلك تكون لغيرهم من الصالحين، حتى يشفع الرجل في أهله وفي جيرانه وفيما أشبه ذلك"[٦].

---

[١] - النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير، (٢/٢٠٥-٢٠٦)، انظر: الشفاعة للوادعي، (١٢٥).

[٢] - نفس المصدر، (٢/٢٠٦).

[٣] - مجموع الفتاوى، (٣/١٤٧).

[٤] - المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، (٢/٢١٣).

[٥] - شرح العقيدة الطحاوية، (٢٣٢).

[٦] - شرح العقيدة الواسطية، (٤٠٦).

٢- شفاعته-صلى الله عليه وسلم- في رفع درجات من يدخل الجنة:

ودليل هذا ما ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في دعائه لأبي سلمة لما توفي، فدعا له برفع درجته في الجنة[١] ، قال الإمام القرطبي-رحمه الله-: "شفاعته-صلى الله عليه وسلم- في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها"[٢]، وقال شارح العقيدة الطحاوية عند ذكره لأنواع الشفاعة: "وشفاعته-صلى الله عليه وسلم- في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم"[٣].

ثانياً: شفاعة بقية الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – : إن الأنبياء – عليهم السلام – يشفعون كما يشفع النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، وإن كانوا لا يملكون بعض أنواع الشفاعة مما خص به نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم-.لكن من حيث أصل الشفاعة فهم يشفعون كما ثبت ذلك بصريح الأحاديث الصحيحة، فقد ورد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم –: "..شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ..."[٤]، وفي حديث أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- مرفوعا: " ..ثم يقال ادعوا الأنبياء فيشفعون.."[٥] ، وأما المواضع التي يشفع فيها الأنبياء – عليهم السلام – فهي عند الصراط كما ثبت ذلك، فقد جاء في حديث أبي هريرة"...ويضرب جسر فوق جهنم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ الله سلّم سلّم"[٦]. والموضع الآخر: فيمن استحق النار، ودخلها، ثم تدركه الشفاعة ويخرجون من النار، كما في حديث أبي سعيد-رضي الله عنه-: "...ثم يشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصا فيخرجونهم منها..."[٧].

الفرع الثاني: شفاعة الملائكة – عليهم السلام – : للملائكة يوم القيامة شفاعة كبقية الشفعاء، وهي ثابتة بنصوص من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة ، قال

---

[١] – رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب إغماض الميت والدعاء له إذا حضر(٦٣٤/٢)، رقم الحديث:٩٢٠، وأحمد في مسنده(٢٩٧/٦).

[٢] – التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، (٢٨٦).

[٣] – شرح العقيدة الطحاوية، (٢٣٢).

[٤] – صحيح البخاري:كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة} (١٨٢/٨)، رقم الحديث: ١٨٣، صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية(١٧٠/١)، رقم الحديث: ١٨٣، واللفظ لمسلم.

[٥] – رواه ابن حبان في صحيحه، (٣٩٣/٤)، رقم الحديث: ٦٤٧٦.

[٦] – رواه أحمد في مسنده، (٢٧٥/٢)، رقم الحديث: ٧٧١٧.

[٧] – رواه أحمد في مسنده، (٢٢٩٨/٥)، رقم الحديث: ١٢٤٠، وابن أبي شيبة في مصنفه، (٥١٩/١٨)، رقم الحديث:٥٣٣٢.

تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[١]، ويقــول: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[٢] ، والاستغفار في الآية الأولى هو نوع من الدعاء والشفاعة للمذنبين[٣]، وفي الآية الثانية يعني شفاعة الملائكة بعد إذن الله لمن يشاء ويرضاه وهنّ بشارة للمؤمنين[٤]، وجاء في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–: "...شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون.."[٥]، وجاء في حيث أبي بكرة –رضي الله عنه–: " يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار، قال: فينجي الله تبارك برحمته من يشاء ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون.."[٦] ، والنصوص كلها تصرح أن شفاعة الملائكة هي في إخراج الموحدين من النار يقول الإمام الرازي: " والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة لا تذكر إلا في إسقاط العقاب، أما طلب النفع الزائد فإنه لا يسمى استغفاراً، وهذا يدل على أنهم يستغفرون لكل أهل الإيمان فإذا دللنا على أنّ صاحب الكبيرة مؤمن وجب دخوله تحت هذه الشفاعة.."[٧].

الفرع الثالث: شفاعة الشهداء: جاء التصريح بشفاعة الشهداء في أكثر من حديث، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– : "...ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا وقال فإذا فعلت الشهداء ذلك يقول الله – عز وجل – أنا أرحم الراحمين.."[٨] ، وجاء من طريق أبي الدرداء –رضي الله عنه– مرفوعاً " يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته"[٩]، يقول

[١] – سورة غافر: الآية: (٧).

[٢] – سورة النجم: الآية: (٢٦).

[٣] – انظر: التفسير الكبير،(٣٤/٢٧).

[٤] – المصدر السابق، (٣٠٧/٢٧).

[٥] – تم تخريجه في ص: ٣٣

[٦] – رواه أحمد في مسنده، (٤٧٢٧/٩)، رقم الحديث:٧٦٩، وابن أبي شيبة في مصنفه،(٥٢١/١٨)، رقم الحديث: ٥٣٣٣، واللفظ لأحمد.

[٧] – التفسير الكبير، (٣٤/٢٧)

[٨] – رواه ابن حبان في صحيحه، (٣٩٣/٤)، رقم الحديث: ٦٤٧٦، وأحمد في مسنده، (٣٨/٢)، رقم الحديث: ١٥، واللفظ لأحمد.

[٩] – رواه أبو داوود في سننه، (٣٢٢/٢)، رقم الحديث:٢٥٢٢.

العلامة المناوي في شرحه لهذا الحديث: "من أهل بيته: شمل الأصول والفروع والزوجات وغيرهم من الأقارب ويحتمل أن المراد بالسبعين التكثير، وفيه أن الإحسان إلى الأقارب أفضل منه إلى الأجانب"[١].

الفرع الرابع: شفاعة المؤمنين : وهي شفاعة ثابتة بالحديث الصحيح فقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– " "...فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار فإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: " اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾[٢]، فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي..."[٣]. فالمؤمنون يشفعون لإخوانهم وأصحابهم ممن سقط في جنهم فيشفعهم الله تعالى فيهم، يقول العلامة المناوي –رحمه الله– : "والشفاعة درجات فكل صنف من الأنبياء والأولياء وأهل الدين كالعابدين والورعين والزهاد والعلماء يأخذ حظه منها على حياله، لكن شفاعة محمد – صلى الله عليه وسلم – لا تشبه شفاعة غيره.."[٤].

المسألة الثانية: شفاعة الأعمال، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: شفاعة كلمة التوحيد : لكلمة التوحيد منزلة خاصة سواء في الدنيا أو في الآخرة، فمن قالها في الدنيا فلا يحل دمه ويصبح حراماً على المسلمين، وأما في الآخرة فإنها ذات مكان عظيم فهي تشفع لكل من قالها خالصاً من قلبه، ف"لا إله إلا الله" مع ضميمتها "محمد رسول الله" تعتبران البطاقة الرابحة يوم القيامة ومن لم يحمل البطاقة فليس له أن يدخل الجنة البتة، ولهذا كان الصحيح: "أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا يقصد إلى النظر ولا يشك كما هي أقوال

---

[١] – فتح القدير للمناوي، (٤٦٢/٦).

[٢] – سورة النساء: الآية: (٤٠).

[٣] – رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة، (١٢٩/٩)، رقم الحديث: ٧٤٣٩.

[٤] – فتح القدير، (١٦٢/٤).

لأرباب أهل الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان..."[1].جاءت الأحاديث الصحيحة التي تصرح أن من شهد بالتوحيد ومات على ذلك فقد حرم الله على النار فقد أخرج البخاري من حديث أبي ذر –رضي الله عنه– يقول –صلى الله عليه وسلم– : "أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنى وإن سرق ، فقال: وإن زنى وإن سرق.."[2] ، وعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: " من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار"[3].

الفرع الثاني: شفاعة الانتساب إلى أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – .

لكل نسب شرف، وهذا الشرف يتفاوت بتفاوت أهمية ذلك النسب، وليس هناك انتساب أعظم وأشرف من الانتساب للأمة الإسلامية، والانتساب لمحمد –صلى الله عليه وسلم– هو انتماء للإسلام وأهله، وأي انتماء أعظم من الانتماء لدين الله –عز وجل– ؟ وقد ورد أفضلية هذه الأمة في كثير من الآيات القرآنية منها؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[5]، وهذه الأمة شهيدة بنص هذه الآية، وبنص حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: " يجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك وأقل فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من شهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فتدعى أمة محمد فيقال: هل بلغ هذا؟ فيقولون: نعم فيقول: ما علمكم بذلك، فيقولون أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، قال: فلذلكم قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾..الآية"[6] ، يقول صاحب الظلال في وصف أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– : " الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعا، فتقيم بينهم

[1] – شرح العقيدة الطحاوية، (٧٨).

[2] – رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل عليه السلام، (١٤٢/٩)، رقم الحديث: ٧٤٨٧).

[3] – رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله، (٨٧/١)، رقم الحديث: ٦٤٣٢، ومسلم: كتاب الإيمان باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك دخل الجنة وحرم على النار، (٤٢/١)، رقم الحديث: ٢٩، واللفظ لمسلم.

[4] – سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

[5] – سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

[6] – رواه ابن ماجه في سننه، (٣٤٧/٥)، رقم الحديث: ٤٢٨٤.

العدل والقسط وتضع لهم الموازيين والقيم وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها وتقول: هذا حق منها ، وهذا باطل.."[1]. أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:" إذا كان يوم القيامة دفع الله – عز وجل – إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فكاكك من النار"[2] ، فالحديث يخبرنا أن اليهودي أو النصراني، يكون فداء للمسلم الذي ينتمي إلى أمة محمد –صلى الله عليه وسلم–.

يقول الإمام البيهقي –رحمه الله–: " ويحتمل أن يكون الفداء في قوم كانت ذنوبهم كفرت عنهم في حياتهم، وحديث الشفاعة في قوم لم تكفر ذنوبهم، ويحتمل هذا القول لهم في الفداء بعد خروجهم من النار بالشفاعة.."[3].

الفرع الثالث: القرآن والصيام:

أولا: شفاعة القرآن: لقد جاءت الأحاديث الصحيحة التي تصرح بشفاعة القرآن يوم القيامة، وهذه الخصوصية للقرآن الكريم دون بقية الكتب السماوية ؛ لأنه حفظ من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4]، ومن أسباب حفظ الله تعالى لهذا الكتاب العظيم أن هيأ له صدوراً تحفظه وعقولاً تفهمه، وقد وردت أحاديث تخبر أن القرآن يشفع ويحاجج عن صاحبه، وقد وردت الآثار بعضها يتكلم عن شفاعة القرآن كله وبعضها عن سور متفرقة، لذا ارتأيت أن أقسمها على النحو الآتي:

١- الآثار الواردة في شفاعة كل القرآن: أخرج أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيشفعان"[5].

١- الآثار الواردة في شفاعة سور من القرآن: أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي أمامة الباهلي –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه

---

[1] – في ظلال القرآن لسيد قطب، (١/١٣٠-١٣١).

[2] – رواه مسلم: كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٨/١٠٤)، رقم الحديث:٢٧٦٧.

[3] – نقله عنه ابن حجر في فتح الباري، (١١/٤٨٥).

[4] – سورة الحجر: الآية: (٩).

[5] – رواه الحاكم في مستدركه، (١/٥٥٤)، رقم الحديث: ٢٠٤٣.

وسلم: " اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة و سورة آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابها، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة"[1]، وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "إن سورة من القرآن –ثلاثون آية– شفعت لرجل حتى عفر له: "وهي تبارك الذي بيده الملك" "[2]، وقال الرسول –عليه الصلاة والسلام– : " لو كان القرآن في إهاب[3] ما أكلته النار"[4]، يقول العلامة المناوي –رحمه الله– : "فكيف بالمؤمن المواضب لقراءته ولتلاوته واللام في (النار) للجنس والأولى جعلها للعهد، والمراد نار جنهم أو النار التي تطلع على الأفئدة أو النار الني وقودها الناس والحجارة...وقيل : المعنى من علّمه الله القرآن، لم تحرقه نار الآخرة فجعل جسم حافظ القرآن كإهاب له"[5].

ثانيا: شفاعة الصيام: للصيام منزلة عظيمة، فالإنسان يترك شهواته وملذاته طاعة لله فيا الله أي طاعة وأي خضوع لرب العالمين ؟! وكفى بالصوم خصيصة وشرفاً أن أضافه الله –تعالى– إليه دون الأعمال الكثيرة الأخرى، يقول الله –عز وجل– في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به"[6]، وذكر ابن حجر –رحمه الله– أقوالاً عشرة لتفضيل الصيام وإنزاله هذه المنزلة الرفيعة[7].أخرج أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنه– أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيشفعان"[8].أخرج البخاري بسنده من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي

---

[1]– رواه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل القرآن وسورة البقرة، (١٩٧/٢)، رقم الحديث:٨٠٤.

[2] – أخرجه أحمد في مسنده، (١٦٧٧/٢)، رقم الحديث:٨٠٩٠.

[3] – مقاييس اللغة، (١٤٩/١)،(بَابُ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ وَمَا بَعْدَهُمَا فِي الثُّلَاثِيِّ)،(أَهَبَ) الْهَمْزَةُ وَالْهَاءُ وَالْبَاءُ كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَا الْأَصْلِ، فَالْأُولَى الْإِهَابُ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: الْإِهَابُ: الْجِلْدُ قَبْلَ أَنْ يُدْبَغَ.

[4] – أخرجه أحمد في مسنده، (٣٨٨٠/٧)، رقم الحديث: ٧٦٩٢.

[5] – فيض القدير، (٣٢٤/٥)

[6] – رواه البخاري: كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، (٢٦/٣)، رقم الحديث: ١٩٠٤، مسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (١٥٧/٣)، رقم الحديث: ١١٥١.

[7] – انظر: فتح الباري، (١٣٨/٤).

[8] – سبق تخريجه في ص: (٣٨).

–صلى الله عليه وسلم– : "الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل.."[١]، "وإنما كان الصوم جنة ؛ لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات. فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة"[٢] ، وهكذا نخلص إلى أن الصيام يقف بين يدي الله – تعالى – يشفع لصاحبه، فيحاجج ويناضل، ويدافع عنه فلا يدعه حتى يدخله الجنة من باب الريان –إن شاء الله–.

الفرع الرابع: شفاعة دعاء الوسيلة عقب الأذان: أخرج البخاري بسنده عن جابر –رضي الله عنه– مرفوعاً: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة"[٣]، إن من طلب هذه الدعوة من الله عقب كل أذان يسمعه فإن شفاعة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– ستدركه وتحل له: أي استحقها أو انزلت عليه[٤]،وهذه الشفاعة التي تدرك المسلم عقب دعائه قد تكون لرفع درجته ، أو لتخفيف العذاب عنه ، أو نوع آخر من الأنواع الأخرى، فيعطى كل أحد بما يناسبه[٥].

---

[١] – رواه البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (٢٤/٣)، رقم الحديث: ١٨٩٤، ومسلم: كتاب الصيام، باب فضل الصوم، (١٥٧/٣)، رقم الحديث:١١٥١.

[٢] – فتح الباري، (١٣٠/٤).

[٣] – رواه البخاري: كتاب الآذان، باب الدعاء عند النداء، (١٢٦/١)، رقم الحديث: ٦١٤.

[٤] – انظر: شرح مسلم، النووي، (٨٦/٤–٨٧).

[٥] – انظر: فتح الباري، (١٢٢/٢).

المبحث الثاني: الشفاعة عند أهل البدع والرد عليهم، وفيه مطلبان:

التمهيد: مذهبهم في الشفاعة: لقد أنكرت الخوارج[1] جميع أنواع الشفاعة في الآخرة، ولم يثبتوا إلا شفاعة واحدة لأهل الإيمان والتقى، ووافقتهم المعتزلة[2] في إنكار عموم أنواع الشفاعات، فمنعوا الشفاعة لمن يستحق العذاب، أو أن يخرج من النار من يدخلها[3]، فعندهم من دخل النار فليس بخارج منها[4]. فالإنسان عند الخوارج إما أن يكون مؤمنا ، وإما أن يكون كافراً، لا واسطة بينهما فليس هناك مؤمن عاص ؛ لأن المعصية تتنافى مع الإيمان ، وإذا كان الكافر مخلدا في النار فإن صاحب الكبيرة كذلك، فاعتقادهم في صاحب الكبيرة جعلهم ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "وأما شفاعته -صلى الله عليه وسلم- لأهل الذنوب من أمته...أنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية[5]، وقال هؤلاء: من دخل النار لايخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها"[6]، ويتفق الخوارج ومنهم الإباضية مع المعتزلة في اعتبار الشفاعة في الآخرة لغير أصحاب الكبائر بل هي"للمؤمنين المطيعين دون أهل الكبائر من العاصين والفاسقين ؛ لأن الله أخبر -كما يرى الإباضية- أن أهل الكبائر يخلدون في النار، فمن زعم أن الشفاعة لأهل الكبائر فقد زعم أنهم في الجنة وأن جميع الأمة في الجنة"[7].

يقول القاضي عبد الجبار: "...لأنه ليس في الآخرة إلا الفريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار"[8]، ويقول

---

[1] - سبق التعريف في ص: (١١).

[2] - سبق التعريف في ص: (١١).

[3] - مجموع الفتاوى، (١/١١٦).

[4] - انظر مقالات الإسلاميين، (٨٤).

[5] - وهي: إحدى الفرق التي تنسب إلى التشيع، وهم ينتسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، وهم ينتسبون إليهم، ويعدونه الإمام الرابع لهم، وأول الأئمة لديهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم زيد بن علي، ثم كل من قام ودعا إلى نفسه وكان موصوفا بالعدل والأمانة وهو من أولاد فاطمة، وقد قامت لهم دولة في اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري، وقد تبنى الزيدية لمذهب المعتزلة في العقائد، انظر: العلم الشامخ للمقبلي،(١١)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار للعمراني، (١/٧٠-٧٤).

[6] - مجموع الفتاوى، (١/١٤٨).

[7] - الإباضية تاريخاً وعقيدة لوليد الطبطبائي، (١٧١).

[8] - المنية والأمل لابن المرتضى، (١٢٣).

الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[1]" إعلام بأن من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها"[2].

أما الشفاعة العظمى لم ينكروها كغيرهم من الفرق ؛ لأنها شفاعة لفصل القضاء بين الخلائق جميعاً، قال الإمام السفاريني –رحمه الله–: "وهذه مجمع عليها لم ينكرها أحد"[3]، وقال ابن تيمية –رحمه الله– عن الخوارج:" ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب"[4]، وذكر ابن حجر–رحمه الله– في الفتح :" أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة من كرب الموقف،...والشفاعة في رفع الدرجات وأنكرت ما عداهما"[5] ، ومثلها الخوارج ، بهذا يتبن أن نفاة الشفاعة يقرون بنوعين من أنواع الشفاعة؛ وهما:

الأول: شفاعة الحشر الأول، وهي الشفاعة العظمى.

الثاني: الشفاعة في زيادة ثواب أهل الجنة، وينفون ما سواهما نفياً قاطعاً ويجعلون الآيات النافية للشفاعة الخاصة بالكفار على من مات على المعصية.

المسألة الأولى: شبهاتهم النقلية ، والرد عليها.

أولا[6]: آيات الوعيد الدالة على عموم التعذيب:

تسلك الوعيدية[7] –الخوارج والمعتزلة– إلى الاحتجاج بآيات الوعيد في القرآن الكريم الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار، وعدم إخراجهم منها، وأن هذا يدل على عدم ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب –على حسب زعمهم– وقد انبنى هذا على مذهبهم المشهور في تخليد أصحاب الكبائر في النار إذا ماتوا من دون توبة، فممّا استدل به الخوارج والمعتزلة ما يأتي:

١– قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَـٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ﴾[8]،يقول القاضي عبد الجبار: "يدل على أن الفاسق من أهل الصلاة متوعد بالنار، وأنه سيصلاها لا محالة ما لم يتب ؛ لأن الذي يأكل

[1] – سورة البقرة: الآية: (٢٧٠).
[2] – الكشاف، (١/٢٣٧).
[3] – لوامع الأنوار البهية، (٢،٢١١).
[4] – مجموع الفتاوى، (١/١١٦).
[5] – فتح الباري، (١١/٤٣٦).
[66] – انظر: الشفاعة وموقف الفرق الإسلامية منها لأحمد مزروع، (٣٩٨–٤٥٤)
[7] – لقب يطلق على الخوارج والمعتزلة لأنهم أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوص الوعد.
[8] – سورة النساء: الآية: (١٠).

أموال اليتامى ليس هو الكافر، فلا يصح حمله عليه، ويجب كونه عاما في كل من هذه حاله، والأغلب ممن بذلك أن يكون من أهل الصلاة، وأقل أحواله أن يدخل الجميع فيه، فيجب أن يقال بعمومه"[١].

٢- وقول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴾[٢]، قال القاضي عبد الجبار" تدل الآية على أن الظالم لا تلحقه شفاعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ولا يتخلص من النار إذا مات على ظلمه وإصراره"[٣]، وقد استدل الخوارج بهذه الآية على أنها أفادت أن من يدخل النار فهو مخزي، ولا شك أن العصاة سيدخلون النار فهم إذن مخزيون، ونظموها مع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ[٤] ﴾، وهي أفادت أن كل مخزي كافر وذلك عن طريق الحصر ، أي حصر المسند إليه المعرف بأل الخبر[٥].

ويُرد على هذه الشبه بأمرين هما:

١- الجواب العام عن احتجاجهم بآيات العموم السابقة المصرحة بتعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار وعدم إخراجهم منها.

٢- جواب تفصيلي عن كل آية استدل بها منكرو الشفاعة وبيان الحق فيها، فأقول وبالله التوفيق.

الجواب العام: وذلك من وجوه :

الوجه الأول: أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر الأئمة يقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي –صلى الله عليه وسلم- أن الله يخرج من النار قوماً من عصاة المؤمنين بعد أن يعذبهم الله ما شاء الله أن يعذبهم، ويخرجهم بشفاعة النبي – صلى الله عليه وسلم-، ويخرج آخرين بشفاعة غيره، ويخرج قوماً بلا شفاعة بل برحمة أرحم الراحمين[٦]، وقد ذكرت جملة منها في المطلب الأول، منه؛ قوله –صلى الله عليه وسلم-: " يخرج قوم من النار بشفاعة محمد – صلى الله عليه وسلم –

---

[١] – متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار، (١٧٨/١).

[٢] – سورة آل عمران: الآية: (١٩٢).

[٣] – المصدر السابق، (١٧٧/١).

[٤] – سورة النحل: الآية: (٢٧).

[٥] – انظر: تأملات في التراث العقدي(فرقة الخوارج) لعبدالسلام عبده، (٢٢٨).

[٦] – انظر: مجموع الفتاوى، (١٤٩/١).

فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين"[1] . قال الإمام ابن القيم–رحمه الله– : "فإنه لا يبقى في جنهم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة"[2] ، فخروج الموحدين من النار سواء من أصحاب الصغائر أو الكبائر دون الشرك هو قول أهل السنة والجماعة ثابت بآيات وأحاديث عدة مشهورة، وذلك في حالة عدم استحلال للكبيرة، أما إذا استحلها فيخرج من الإسلام بسبب تحليله ما حرم الله –عز وجل– وحرمه النبي –صلى الله عليه وسلم– في سننه.

الوجه الثاني: إن من أهم ما يرد عليهم به الاستدلال عليهم بآيات الوعد والرجاء والترغيب في مقابل استدلالهم بآيات الوعيد : " فآيات الوعيد وأخبار الوعيد التي احتج بها المعتزلة والخوارج، فإنها لا يجوز أن تخص بالتعلق بها دون آيات العفو وأحاديث العفو التي احتج بها من أسقط الوعيد، ...بل الواجب جمع جميع تلك الآيات والآثار وكلها من عند الله وكلها مجمل ، وتفسيرها بآيات الموازنة، وأحاديث الشفاعة التي هي بيان لعموم تلك الآيات، وتلك الأخبار، وكلهما من عند الله"[3].

الوجه الثالث: أن الآيات التي احتج بها المنكرون للشفاعة خاصة بالكفار فقط، أما من مات على التوحيد فمصيره الجنة بإذن الله –تعالى–. قال الإمام الآجري –رحمه الله– : " إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً، خرج به عن الكتاب والسنة، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله –عز وجل– أنهم إذا دخلوا النار فهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في إثبات الشفاعة: أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على هذا"[4].

الوجه الرابع: أن ترجيح عموميات الوعد أولى ؛ لأنه ثبت في النصوص الصحيحة، أن رحمة الله غلبت غضبه أو سبقت غضبه، لقوله –صلى الله عليه وسلم– : " لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي"[5]، ولأنها أدل على الجود والكرم من عموميات الوعيد[1]. قال الإمام

[1] – رواه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار(٨/١٤٤–١٤٥)، رقم الحديث: ٦٥٦٦، وأحمد في مسنده (٤/٤٣٤)، واللفظ للبخاري.

[2] – الوابل الصيب لابن القيم، (٣٤).

[3] – الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤/٨٤).

[4]– الشريعة للآجري، (٢٩٨).

[5] – رواه البخاري: كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾، رقم الحديث: ٧٤٥٣.

ابن القيم –رحمه الله–: " وإخلاف الوعيد لا يذم، بل يمدح، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد، والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة وإسقاط، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه، والوعد حق عليه، أوجبه على نفسه، والله لا يخلف الميعاد"[٢].

الوجه الخامس: النصوص المتواترة التي تدل على انقطاع عذاب عصاة الموحدين، كالأخبار بأن الجنة مآل من مات على التوحيد، والإخبار بخروج عصاة الموحدين من النار بالشفاعة أو بعفو أرحم الراحمين، أو التصريح بأن العذاب الدائم مختص بالكفار، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[٣]، ﴿ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٤]، يقول ابن تيمية –رحمه الله–: " الصلي هنا هو الصلي المطلق، وهو المكث فيها والخلود على وجه يصل العذاب إليهم دائماً"[٥].

الجواب التفصيلي: وأما الآيات التي سبق إيرادها والتي استدل بها الخوارج والمعتزلة فيقال فيها ما يلي:أما قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾[٦]، فليس في ذلك دليل على تخليد آكل مال اليتيم في النار ، وعدم خروجه منها، بل هي من آيات الوعيد، فكل من أكل مال اليتيم ظلماً فهو متوعد بالصلي بالسعير، والصلي هو التسخين بقرب النار، أو بمباشرتها، والسعير: الجمر المشتعل، ومن عذب منهم بذلك فإنه لا يخلد في النار، بل يخرج منها إما بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين، كما تواترت النصوص بذلك[٧] ، وأما قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[٨]، فمعناها: ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته، ولا يخزى مؤمن مصيره إلى الجنة وإن عُذب بالنار بعض العذاب، وقد روى معنى هذا عن جماعة من السلف منهم، أنس بن مالك – رضي الله عنه –، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري –رحمهم الله تعالى[٩] ،

---

[١] – انظر: التفسير الكبير، (٣/١٤٠).
[٢] – مدارج السالكين، (١/٣٩٦).
[٣] – سورة النحل: الآية: (٢٧).
[٤] – سورة الليل: الآيات: (١٥–١٦).
[٥] – مجموع الفتاوى، (١٦/١٩٧).
[٦] – سورة النساء: الآية: (١٠).
[٧] – انظر: المحرر الوجيز لابن عطية، (٤/٣٢–٣٣).
[٨] – سورة آل عمران: الآية: (١٩٢).
[٩] – انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، (٣/٥٥٢).

وقال الإمام القرطبي –رحمه الله–: "فخزي المؤمنين –أي أصحاب الكبائر– يومئذ استحياؤهم في دخول النار مع سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها"[1].

ثانيا: نصوص الوعيد من الآيات المصرحة بالخلود في النار: من أدلة المنكرين للشفاعة الاحتجاج بنصوص الوعيد في الكتاب والسنة الدالة على التصريح بالخلود في النار، أو الحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي ، أو نفي الإيمان ، أو التسمية بالكفر، أو التصريح بالبراءة من مرتكبي بعض المعاصي، وأن في هذا دلالة على حسب زعمهم على عدم إمكان الشفاعة لهم يوم القيامة، منها قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا ﴾[2]، يقول الزمخشري في كلامه على هذه الآية: " فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل وهو تناول قوله: أي قاتل كان من مسلم أو كافر، تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرجه الدليل، فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله"[3]، ويقول أحمد الخليلي في معرض استدلاله بهذه الآية على خلود صاحب الكبيرة في النار : "ووجه الاستدلال بالآية أن الله تعالى نوعد فيها قاتل المؤمن –فيما توعده به– بالخلود في النار مع أن القتل كبيرة دون الشرك"[4] ، ولقد أجاب العلماء عن شبه الوعيدية باستدلالهم بهذه الآيات بما يأتي:

أن الآية المبينة جزاء القاتل العمد وهي قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[5] ، فنقول رداً عليهم: أن أهل السنة من سلف الأمة وأتباعهم، لم يختلفوا في أن أصحاب الكبائر التي هي دون الشرك بالله –تعالى– أن أصحابها لا يخلدون في النار، بل قولهم في ذلك واحد لا يختلف، وهو عدم تخليد أصحاب المعاصي دون الشرك بالله في النار، معتصمين في ذلك بالنصوص من كتاب الله الكريم وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – المتواترة في ذلك، وأما استدلالهم بهذه الآية الكريمة التي ورد فيها هذا الوعيد الشديد لقاتل المؤمن عمداً فإن أهل السنة يعطون هذا النص حقه ويبينون عظمه تحذيراً من مخالفته، فإن مرتكبه يعرض نفسه لسخط الله وغضبه وعقابه، ومع بيانهم لذلك

---

[1] – الجامع لأحكام القرآن، (٣١٦/٤).
[2] – سورة النساء: الآية: (٩٣).
[3] – الكشاف، (٢٩١/١).
[4] – الحق الدامغ لأحمد الخليلي، (٢١٣).
[5] – سورة النساء: الآية: (٩٣).

فإنهم يبنون الحق فيه بالنصوص الأخرى[1]. فهذه الآية تفسرها نصوص غيرها صريحة في عدم خلود الموحدين في النار، كنصوص الشفاعة وغيرها مما سبق إيراده، منها قوله – صلى الله عليه وسلم – : " أتاني جبريل –عليه السلام– فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق؟ قال – صلى الله عليه وسلم – : وإن زنى وإن سرق.."[2]، وعن جابر –رضي الله عنه– قال: أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– رجل فقال: يا رسول الله: ما الموجبتان[3] فقال: " من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات بشرك بالله شيئا دخل النار"[4] ، فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن مرتكبي الكبيرة غير الكفر والشرك ليس بخالد في النار، ولهذا يجب حمل الخلود في الآية على معنى البقاء مدة طويلة. قال ابن عاشور – رحمه الله– : "وقوله ﴿ خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ مَحمَلهُ عند جمهور علماء السنة على طول المكث في النار لأجل قتل المؤمن عمداً، لأن قتل النفس ليس كفراً بالله ورسوله، ولا خلود في النار إلا للكفر،...فتعيّن تأويل الخلود بالمبالغة في طول المكث"[5]، وقال الإمام الطبري –رحمه الله– في تفسير آية قتل العمد بعد أن استعرض الأقوال في تفسيرها: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه إن جازاه جهنم خالداً فيها، ولكنه يعفو ويتفضّل على أهل ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [6]"[7] ، فقيد المشيئة قائم في الذنوب كلها ما عدا الشرك، وأيضا فإن قوله: ﴿ فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾إن جازاه الله ولم يعف عنه، فآية الخبر عن الشرك خبر لا يقع فيه الخلف، وآية القتل العمد وعيد فيه العفو، فاستحقاق الوعيد لا يلزم تنفيذه.

[1] – انظر: الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى الحق الدامغ لعلي الفقيهي، (٤٢٩–٤٣٠).

[2] – رواه مسلم: كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، (٩٤/١)، رقم الحديث: ٩٤.

[3] – الموجبتان: أي الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار.

[4] – رواه مسلم: كتاب الأيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، (٩٤/١)، رقم الحديث: ٩٣.

[5] – تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٦٤/٥).

[6] – سورة الزمر: الآية: (٥٣).

[7] – جامع البيان، (٢٢٣/٤).

ثالثا: نصوص الوعيد من الأحاديث المصرحة بالخلود في النار أو نفي الإيمان وغيرها.

من أدلة المنكرين للشفاعة الاحتجاج بنصوص الوعيد من السنة النبوية التي تثبت عدم وقوع الشفاعة لأهل الكبائر في الآخرة أخذاً منهم بظاهر النص، أو عدم الالتفات إلى غيره للجمع بينهما، منها: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرقها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن"[١] ، وقوله –صلى الله عليه وسلم–: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[٢] ، وغير ذلك من أحاديث الوعيد الكثيرة التي استدلوا بها وأولوها على حسب أصولهم في الوعيد.

والرد على شبههم بالآتي: لقد وردت نصوص الوعيد في السنة النبوية بصيغ متعددة، فبعضها فيه التصريح بالخلود في النار، أو بعدم دخول الجنة، وبعضها بدخول النار، وبعضها بالكفر أو النفاق أو الشرك، أو البراءة عند فعل شيء محرم او غير ذلك من عبارات الوعيد. فأهل السنة ينظرون إلى جمع الأدلة والأحاديث إذا ثبتت في مسألة معينة فيضمون بعضها إلى بعض، وكأنها دليل واحد، أو حديث واحد فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل الاعتقاد والعمل بجميع ما في مضمونها[٣]. في حديث: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..."[٤] فقد أجمع أهل السنة على أن المنفي هنا كمال الإيمان أو الإيمان الواجب جمعاً بين هذا النص وغيره من النصوص، قال ابن عبد البر –رحمه الله– تعليقاً على هذا الحديث: "..وهو مؤمن يريد مستكمل الإيمان، ولم يرد نفي جميع الإيمان عن فاعل ذلك بدليل الإجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر –إذا صلوا للقبلة، وانتحلوا دعوة الإسلام– من قرابتهم المؤمنين الذين آمنوا بتلك الأحوال، وفي إجماعهم على ذلك إجماعهم على أن الكافر لا يرث المسلم، أوضح الدلائل على صحة قولنا أن مرتكب الكبيرة

---

[١] – رواه البخاري: كتاب المظالم، باب النهى بغير إذن صاحبه،(١٧٨/٣)، رقم الحديث: ٢٤٧٥، مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن الملتبس بالمعصية على إرادة نفي كماله(٧٦/١)، رقم الحديث:٥٧.

[٢] – رواه البخاري" باب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا ترجعوا بعدي كفاراً.."(٦٣/٩)، رقم الحديث:٧٠٧٦، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان النبي صلى الله عليه وسلم: "سباب المسلم فسوق"(٨١/١)، رقم الحديث: ١٠١.

[٣] – انظر: المختار من كنوز السنة لمحمد دراز،(٩٥).

[٤] – سبق تخريجه في ص: (٥٢).

ناقص الإيمان بفعله ذلك"[1] ، وقال الإمام المروزي -رحمه الله- : " فالذي صح عندنا معنى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) وما روي عنه من الأخبار مما يشبه هذا أن معنى ذلك كله أن من فعل تلك الأفعال لا يكون مؤمنا مستكمل الإيمان ؛ لأنه قد ترك بعض الإيمان، ونفي الإيمان عنه يريد به الإيمان الكامل..وإقامة الحدود عليه دليل على أن الإيمان لم يزل كله عنه، ولا اسمه، ولولا ذلك لوجب استتابته، وقتله، وسقطت عنه الحدود"[2]، فبهذا يتضح أن المنفي في الحديث هو كمال الإيمان أو الإيمان الواجب وليس أصل الإيمان.

وأما حديث: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[3] فقد قال الخطابي -رحمه الله- : "وقوله -صلى الله عليه وسلم-: " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" فإنما هو على أن يستبيح دمه، ولا يرى أن الإسلام قد عصمه منه، وحرّمه عليه...وقد يتأول هذا الحديث وما جاء في معناه من الأحاديث على وجه التشبيه لأفعالهم بأفعال الكفار من غير تحقيق للحكم فيه...وهذا لا يوجب أن يكون من فعل ذلك كافراً به خارجاً من الملة، وإنما فيه مذمة هذا الفعل وتشبيهه بالكفر، على وجه التغليظ لفاعله، ليجتنبه فلا يستحله، ومثله في الحديث كثير"[4] ، وقال النووي -رحمه الله- : " في تأويل الحديث (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) أقوال: أحدها: أنه في المستحل، والثاني: أن المراد كفر الإحسان والنعمة وإخوة الإسلام لا كفر الجحود، والثالث: أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه، والرابع: أنه كفعل الكفار"[5]، فمذهب أهل السنة في النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشرك على بعض المعاصي، وأنها كفر دون كفر، وأن المفصود بذلك أن مرتكب الكبيرة قد تشبه بالكافرين والمشركين بفعله ذلك، وأوّلوا بعضها بكفر النعمة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " فإنا نطلق القول بنصوص الوعد والوعيد والتكفير والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى يقوم فيه المقتضى الذي لا معارض له"[6] ، وبهذا يظهر تميز مذهب أهل السنة في الجمع بين النصوص ، وعدم ضرب بعضها ببعض فيجعلونها كالنص الواحد ويعملون بها جميعاً.

---

[1] - التمهيد لابن عبد البر، (٩/٢٤٣-٢٤٤).
[2] - تعظيم قدر الصلاة للمروزي، (٢/٥٧٦).
[3] - سبق تخريجه في ص: (٥٢).
[4] - أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي، (١٧٨-١٧٩).
[5] - شرح النووي لصحيح مسلم، (٢/٥٤).
[6] - مجموع الفتاوى، (٢٨/٥٠١).

رابعاً: الاحتجاج بالآيات النافية للشفاعة: احتج الوعيدية على مذهبهم في الوعيد بإنكار الشفاعة في الآخرة للمذنبين بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة، وأنها –حسب زعمهم– لا تنفع العصاة يوم القيامة، وإنما تختص بزيادة درجات أهل الجنة الذين ارتضاهم الله –عز وجل– ، ومن الآيات التي استدلوا بها ما يأتي:

١- قول الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[1]، قال الزمخشري عند هذه الآية مقرراً إنكار الشفاعة لعصاة المؤمنين وغيرهم ما عدا الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة، بقوله: " لو شفع لهم الشافعون من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم ؛ لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله، وهم مسخوط عليهم، وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين"[2].

٢- وقول الله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[3]، قالوا: فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة[4]، " يدل على أن الشفاعة لا تكون إلا لمن كانت طرائقه مرضية، وان الكافر والفاسق ليسا من أهلها"[5].

ويرد على منكري الشفاعة بما يأتي: أما قول الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[6]، المراد بهذه الآية الكفار، حيث لا تنفعهم الشفاعة يوم القيامة، قال أبو بكر الآجري – رحمه الله– :" هذه كلها في أخلاق الكفار، فقال الله –عز وجل–: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ فدل على أن لا بد من شفاعة، وأن الشفاعة لغيرهم لأهل التوحيد خاصة، وقال الله –عز وجل– ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾[7] ، وإنما ود الكفار أن لو كانوا مسلمين عندما رأوا معهم في النار قوماً موحدين، فعيّروهم وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار، فحزنوا من ذلك، فأمر الله –عز وجل– الملائكة والأنبياء وسائر المؤمنين أن يشفعوا، فشفعوا فيهم فشُعّوا، فأخرج من النار أهل التوحيد، ففقدهم أهل الكفر، فسألوا عنهم فقيل: شفع فيهم

---

[1] – سورة المدثر: الآية: (٤٨).
[2] – الكشاف، (١٦٢/٤).
[3] – سورة غافر: الآية: (١٨)
[4] – انظر: شرح الأصول الخمسة، (٦٨٩).
[5] – متشابهة القرآن، (٤٩٩/٢)، انظر: الكشاف، (٩/٣).
[6] – سورة المدثر: الآية: (٤٨).
[7] – سورة الحجر: الآية: (١–٢).

الشافعون ؛ لأنهم كانوا مسلمين، فعندها ودوا لو كانوا مسلمين حتى تلحقهم الشفاعة، وأيقنوا أن ليس لهم شافع يشفع لهم، و لا صديق حميم يغني عنهم من عذاب الله شيئاً، قال الله –عز وجل– في أهل الكفر لما نضجوا بالعذاب، وعلموا أن الشفاعة لغيرهم قالوا: ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [1]، وقال الله –عز وجل– ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[2]"[3] ، وقال القرطبي –رحمه الله–: " فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[4]، قيل له: لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين منها ويدخلون الجنة"[5].

وأما قوله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[6]، " فالمراد بالظالمين : الكفار، فإن الظالم على الإطلاق هو الكافر"[7] ، وقال الطبري –رحمه الله–: " ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم كم عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيطاع فيما شفع، ويُجاب فيما سأل"[8]، وقال ابن كثير –رحمه الله–: " ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير"[9]، وكل ما سبق يعتبر من أبرز الشبه النقلية التي تعلق بها منكروا الشفاعة في عصاة المؤمنين، وقد أوضحتها وفندتها بأقوال ونقول واردة عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى.

المسألة الثاني: شبهاتهم العقلية ، والرد عليها : هناك شبه أخرى أيضاً عدا ما تقدم تعلق بها منكرو الشفاعة ولا سيما المعتزلة وهي شبه عقلية، وقد أورد هذ الشبهات أحد كبار المعتزلة[10]، فالوعيدية جميعاً متفقون على تخليد صاحب الكبيرة الذي مات

---

[1] – سورة الأعراف: الآية: (٥٣).

[2] – سورة الشعراء: الآية: (٩٤-١٠١).

[3] – الشريعة للآجري، (٢٩٩-٣٠٠).

[4] – سورة المدثر: الآية: (٤٨).

[5] – التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، (٢٨٧).

[6] – سورة غافر: الآية: (١٨)

[7] – لوامع الأنوار البهية، (٢/٢١٧).

[8] – جامع البيان، (١١/٥٠).

[9] – تفسير القرآن العظيم، (٤/٨٢).

[10] – أعني به القاضي عبد الجبار في كتابه: (شرح الأصول الخمسة).

مصراً عليها في النار، وأنه لا تنفعه شفاعة شافع، وقد وقفوا من الأحاديث المثبتة للشفاعة عدة مواقف، وهي ما يأتي:

١- القول بأن أحاديث الشفاعة غير صحيحة.

٢- أنها لو صحت فإنها منقولة بطريق الآحاد، فلا توجب القطع، بل تكون ظنية، وهذه المسألة طريقها العلم، فلا يمكن الاحتجاج بمثل هذه الأحاديث.

٣- أنها معارضة بأخبار الوعيد، والآيات النافية للشفاعة.

٤- أن الأحاديث المصرحة بخروج قوم من النار متأولة على معنى: يخرج من عمل أهل النار قوم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[1]، يعني: على عمل من استحق ذلك.

٥- وقالوا: المراد بقوله – صلى الله عليه وسلم – : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" أي: إذا تابوا.

٦- ومن شبههم العقلية قول القاضي عبد الجبار: "اتفقت الأمة على هذا القول: اللهم اجعلنا من اهل الشفاعة، فلو كان الأمر على ما ذكرتموه –أي أهل السنة– لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء ؛ لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق، وذلك خلف"[2].

وهذا موقف الوعيدية من أحاديث الشفاعة تم تلخيصه من كلام القاضي عبدالجبار، والرد على شبههم العقلية ومزاعمهم بما يأتي:

١- أما الزعم بأن أحاديث الشفاعة غير صحيحة فباطل، فقد رواها الأئمة في الصحاح كما سبق إيرادها، بل هي متواترة، قال الباقلاني –رحمه الله–: "والأخبار في الشفاعة أكثر من أن يؤتى عليها، وهي كلها متواترة"[3]، وقال شارح الطحاوية –رحمه الله–: " – صلى الله عليه وسلم – في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلاً منهم بصحة الأحاديث، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته"[4].

---

[1] – سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

[2] – انظر: شرح الأصول الخمسة، (٦٩٢).

[3] – تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، (٤١٨).

[4] – شرح الطحاوية، (٢٣٣).

٢- وأما القول بأنها على فرض صحتها فإنها آحاد لا توجب علماً، وما كان كذلك فلا يؤخذ بها في العقيدة، ؛ لأنها ظنية، فإن أهل السنة والجماعة يرون الاحتجاج بأخبار الآحاد في أمور العقائد والأحكام، وأنها تفيد العلم ولا يفرقون بين الخبر المتواتر وخبر الآحاد إذا كان صحيحاً، ولقد بحثها عدد من علماء أهل السنة والجماعة، فبسطوا الأدلة، وردوا على المخالفين، بل إن بعضهم أفردها بالتصنيف[١].

٣- وأما القول بأنها معارضة لأخبار الوعيد، فليس بصحيح، بل هي مبينة لها، وموضحة لمعناها، كما أسلفت في توجيه العلماء لها، واستدلالهم في إبطال الشفاعة بالآيات النافية لها، فلا حجة فيها، لأن الشفاعة المنفية في الآيات هي في حق الكفار.

٤- وأما تأويل أحاديث الشفاعة وخروجهم قوم من النار على معنى: يخرج من عمل أهل النار قوم.." وكذلك القول بأنها للتعبيد، فكل هذا تأويل بعيد باطل، وزينه الهوى، والشبهات، وإلا فكيف يصح هذا التأويل مع صراحة الأحاديث في إخراج قوم من النار كما في الأحاديث الصحيحة الصريحة، وأنه حقيقة، وليس معناه يخرج من عمل أهل النار قوم، ولا هو للتعبيد.

٥- وأما صرف حديث: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" إلى أن المراد بذلك إذا تابوا، فيكون معنى الشفاعة راجعاً إلى التفضل ورفع الدرجات، فهذا التأويل تبطله النصوص السابقة والمصرحة بأن الشفاعة تنال قوما دخلوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم فيخرجون من النار، ويدخلون الجنة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا يدخل النار، ولا يعاقب على ذنبه الذي تاب منه، وحصر الشفاعة في رفع الدرجات والتفضل على المشفوع له بزيادة النعيم فحسب تحكم ظاهر، تبطله نصوص الشفاعة في إخراج من دخل من أهل النار من أهل الكبائر من الموحدين، ويقول الباقلاني في رده على تأويلات المعتزلة البعيدة الباطلة لأخبار الشفاعة: " ولولا العناد والميل إلى سبيل الضالين ووساس المردة والشياطين، لم يعدلوا عن إثبات الشفاعة المذكورة في نص

---

[١] - انظر مثلاً: كتاب الرسالة للشافعي(٣٦٩) وما بعدها، مختصر الصواعق لابن القيم(٣٥٩/٢)، أخبار الآحاد لعبدالله الجبرين، العقيدة في الله لعمر الأشقر.

الكتاب والمأثور في الأخبار إلى الترهات وطريق التأويلات، وتلفيق الجهل والضلالات"[1].

٦- يجاب على هذه الشبهة بما نقل عن القاضي عياض –رحمه الله– أنه قال: " قد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح –رضي الله عنهم– شفاعة نبينا –صلى الله عليه وسلم– ورغبتهم فيها" ثم قال: " وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله – تعالى – أن يرزقه شفاعة محمد – صلى الله عليه وسلم– لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون –كما قدمنا– لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات، ثم كل عاقل معترف بالتقصير ومحتاج إلى العفو، غير معتد بعمله، مشفق منه أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة، لانها لأصحاب الذنوب أيضاً، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف" [2].

المطلب الثاني: القبوريون ونحوهم من المبتدعة:

التمهيد: مذهبهم في الشفاعة.

إذا كان هناك من أنكر الشفاعة الثابتة في الكتاب والسنة وخصوصاً الشفاعة في أهل الكبائر، كما تقدم في المطلب السابق؛ فقد وُجد من أثبت الشفاعة ولكن على غير الوجه الشرعي، وغالب من سلك هذا المنهج من يعرفون بالقبوريين؛ وهم الذين يتعلقون بالقبور وبأصحابها الأموات ويعظمونهم ، وكذا من نحا نحوهم من المبتدعة[3]، موافقين في ذلك المشركين والنصارى، الذين نفى الله – تعالى – شفاعتهم في القرآن الكريم وأبطلها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– عند بيان افتراق الناس في مسألة الشفاعة: "ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارى، ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن ..."[4].

---

[1] – تمهيد الأوائل، (٤٢٨).

[2] – انظر" الجامع لأحكام القرآن، (٣١٠/١٠)، شرح النووي ، (٣٦/٣).

[3] – أعني: الرافضة –سبق التعريف بهه– والصوفية: "الصوفية مرت بمراحل وتطورات، قيل عنها الكثير من التعريفات أذكر بعضها؛ أنها مأخوذة من صفاء قلوبهم، ويرى البعض إلى أنها نسبة إلى الصف الأول، والذي رجحه ابن تيمية أنها نسبة إلى لبس الصوف، ولهذه الفرقة طرق كثيرة، ولها اعتقادات خاصة في الله فيري المتصوفة أنهم يعتقدون بوجود معبود لا حقيقة له قائمة بذاته، من لوازم عقيدتهم الباطلة الحلول، ووحدة الوجود" انظر: موقف ابن تيمية من الصوفية لمحمد العريفي، (١/ ٢١١-٢٢٥)، فرق معاصرة للإسلام لغالب العواجي، (٣/ ٨٦٥-٩٩٤).

[4] – اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية، (٨٢١/٢).

وقد أخبرنا الله تعالى عن المشركين الذين زعموا أن أصنامهم وتماثيلهم تشفع عند الله بقوله تعالى:﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2].

ولقد تقدم لنا أن الشفاعة الثابتة في الآخرة لا بد من شروط ، وعلى رأسها إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له، وأن الله لا يرضى إلا عن المؤمنين الموحدين، فالأمر كله لله – تبارك وتعالى – ، إلا أن القبوريين وأشباههم قد خالفوا ذلك، فأثبتوا الشفاعة لأوليائهم الأموات، وطلبوها منهم في الحياة الدنيا، كما طلبها المشركون من أصنامهم، والنصارى من رهبانهم.

المسألة الأولى: شبهاتهم النقلية ، والرد عليها.

١- قولهم: في قول بني إسرائيل لموسى ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[3] وقول بعض الصحابة للنبي – صلى الله عليه وسلم – : "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"[4] إن الصحابة وبني إسرائيل لم يكفروا.

٢- قولهم: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنكر على أسامة قتل من قال: "لا إله إلا الله"، وكذلك قوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله "[5]، وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها.

٣- قولهم: إن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

٤- قولهم: إن في قصة إبراهيم – عليه السلام – لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، دليل على أنه لو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً لم يعرضها على إبراهيم؟

---

[1] – سورة الزمر: الآية: (٣).

[2] – سورة يونس: الآية: (١٨).

[3] – سورة الأعراف: الآية: (١٣٨).

[4] – رواه ابن حبان في صحيحه، (٩٤/١٥)، رقم الحديث:٦٧.

[5] –رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، (١٤/١)، رقم الحديث: ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، (٣٨/١)، رقم الحديث: ٢٠.

الرد على شبهاتهم:

١- أن الصحابة –رضوان الله عليهم- وبني إسرائيل لم يفعلوا ذلك حين لقوا من الرسولين الكريمين إنكار ذلك، ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وقول بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم لموسى – عليه الصلاة والسلام – ذلك، وقول أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- : "اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط" فقال: "الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾، لتركبن سنن من كان قبلكم"[١]، وهذا يدل على أن موسى ومحمداً –عليهما الصلاة والسلام – قد أنكروا ذلك غاية الإنكار.

٢- أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون : لا إله إلا الله، وأن الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلون ويدعون أنهم مسلمون، وأن الذين حرقهم علي بن أبي طالب كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل، ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ، وأما حديث أسامة الذي قتل فيه من قال : لا إله إلا الله حين لحقه أسامة ليقتله وكان مشركاً، فقال: لا إله إلا الله، فقتله أسامة لظنه أنه لم يكن مخلصاً في قوله ، وإنما قاله : تخلصاً فليس فيه دليل على أن كل من قال: لا إله إلا الله فهو مسلم معصوم الدم، ولكن فيه دليل على أنه يجب الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ثم بعد ذلك ينظر في حاله حتى يتبين، والدليل قول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾[٢]أي فتثبتوا، وهذا يدل على أنه إذا تبين أن الأمر كان خلاف ما كان عليه فإنه يجب أن يعامل بما يتبين من حاله، فإذا بان منه ما يخالف الإسلام قتل ولو كان لا يقتل مطلقاً إذا قالها لم يكن فائدة للأمر بالتثبت، وأما قول النبي –

---

[١] – رواه الحاكم في مستدركه، (٤/٤٥٥)، رقم الحديث: ٨٤٩٨.

[٢] – سورة النساء: الآية: (٩٤).

صلى الله عليه وسلم -: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله "فإن معنى الحديث أن من أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين أمره، لقوله تعالى: (فَتَبَيَّنُواْ)لأن الأمر بالتبين يحتاج إليه إذا كان في شك من ذلك، أما لو قال: لا إله إلا الله بمجرده عاصماً من القتل فإنه لا حاجة إلى التبين، واعلم أن الذي قال لأسامة: "أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله"، وقال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..." هو الذي أمر بقتال الخوارج وقال: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم" مع أن الخوارج يصلون ويذكرون الله ويقرؤون القرآن، وهم قد تعلموا من الصحابة - رضي الله عنهم - ومع ذلك لم ينفعهم ذلك شيئاً ؛ لأن الإيمان لم يصل إلى قلوبهم كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إنه لا يجاوز حناجرهم".

٣- اعلم أن جبريل إنما عرض عليه أمراً ممكناً يمكن أن يقوم به فلو أذن الله لجبريل لأنقذ إبراهيم بما أعطاه الله - تعالى - من القوة فإن جبريل كما وصفه الله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[١] فلو أمره الله أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ولو أمره أن يحمل إبراهيم إلى مكان بعيد عنهم لفعل ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا يشبه لو أن رجلاً غنياً أتي إلى فقير فقال : هل لك حاجة في المال؟ من قرض أو هبة أو غير ذلك؟ فإنما هذا مما يقدر عليه، ولا يعد هذا شركاً لو قال : نعم لي حاجة أقرضني، أو هبني لم يكن مشركاً[٢].

المسألة الثانية: شبهاتهم العقلية، والرد عليها : إذا نظرنا في العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب نجد أن بناء المساجد على القبور، وبناء القباب على قبور الأولياء والأئمة المعصومين -حسب زعمهم- منتشر فيه انتشارا واسعا وواضحا كل الوضوح، وقد توجهوا إليها بالدعاء والاستغاثة والاستشفاع بها والنذور، ورغم أن هذه من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، وذلك لاعتقادهم أن أئمتهم وأولياءهم لهم القداسة وسيشفعون لهم عند الله حتماً إذا استشفعوا بهم، وقاسوا هذه على الشفاعات الدنيوية المعروفة بين الناس، وذلك من حيث لزوم الشفاعة وتحقق وقوعها، وهذا ما كان يعتقده المشركون من قبلهم في أصنامهم.

---

[١] - سورة النجم: الآية: (٥).

[٢] - انظر: كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب وشرحه للشيخ ابن عثيمين، (٥٥-٩٣)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– مبيناً ذلك: " المشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصرون تماثيلهم، فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يتوسل إلى الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره، فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة"[1].

وقال ابن القيم –رحمه الله–: " وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركين في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله – تعالى –، قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف بقلبه عليه؛ صار بينه وبينه اتصال، يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان، فهو شديد التعلق به، فيما يحصل لذلك من السلطان، ومن الإنعام و الإفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به"[2] ، وهكذا هو تعلق القبوريين في أئمتهم وأوليائهم في موالاتهم لينالوا شفاعتهم، مع اختلاط الموالاة بالشرك المانع للشفاعة عند الله –عز وجل–.

الرد على شبهاتهم: يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يأتي:

الوجه الأول: أن الله تعالى نفى الشفاعة الشركية التي يتعلق بها أولئك المشركون ومن وافقهم، وأبطل هذه الشفاعة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فمن ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾[3]، وقله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾[4]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– بعد أن ساق هذه الآيات وأمثالها: " فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين، حتى صوروا تماثيلهم وقالوا: استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم، وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا: نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله، وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله، وذم المشركين عليها وكفرهم بها"[5].

[1] – مجموع الفتاوى، (١/١٥٠).
[2] – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، (١/٢١٩).
[3] – سورة الأنعام: الآية: (٥١).
[4] – سورة البقرة: الآية: (٢٥٥).
[5] – مجموع الفتاوى، (١/١٥١).

الوجه الثاني:

أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فقد تحصل الشفاعة عند البشر بدون إذن المشفوع إليه، أو بدون رضاه عن المشفوع له لسبب من الأسباب، بخلاف الشفاعة عند الله - تعالى - فلا تحصل إلا بعد إذنه -عز وجل- للشافع ورضاه عن المشفوع له، فليس حصول الشفاعة عند الله - تعالى - أمراً مطلقاً لازماً، وإنما هو مقيد بشروط لا تتحقق عند القبوريين، قال شارح الطحاوية -رحمه الله-: " فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعة في الطلب، بمعنى أنه صار شفيعاً فيه بعد أن كان وتراً، فهو أيضاً قد شفع المشفوع إليه، وبشفاعته صار فاعلاً للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه، والله تعالى وتر لا يشفعه أحد، فلا بشفع أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه"[1]، وبهذا يتضح بطلان مزاعمهم واعتقادهم الباطل ، وأختم بعبارة تيمية جامعة لمسلك الاستدلال الشرعي مع اختصارها: "فأعرض عما يذكرونه بما ثبت من كتاب الله وسنة رسوله، وما ثبت عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وزنه أيضاً بالميزان الصحيحة العادلة العقلية، واستعن على ذلك بما ذكره كل النظار في هذه الطريقة وأمثالها، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله، ولا تتبع الظن فإنه لا يغني من الحق شيئاً، وسل الله أن يلهمك ويهديك"[2].

[1] - شرح الطحاوية، (٢٣٨-٢٣٩).

[2] - درء التعارض، (٨/٢٧٦).

الخاتمة: كشفت الدراسة عن العديد من النتائج ، التي من أهمها ما يلي :

١- أن الأمة الإسلامية في حاجة ماسة إلى هدي النبي –صلى الله عليه وسلم- والتمسك به عقيدة وشريعة ولا سبيل إلى ذلك إلا بإتباع الكتاب العزيز والسنة النبوية، واعتقاد الرسول –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام.

٢- الإيمان باليوم الآخر عموماً وسيلة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات بما يوجد في النفس من الرغبة فيما عند الله من خيري الدنيا والآخرة، وبما يوجد لها من الخوف من عذاب الله، والرهبة من عقابه.

٣- الشفاعة تدل على توسط الغير بجلب منفعة أو دفع مضرة سواء كانت في أمور الدنيا والآخرة.

٤- ثبوت الشفاعة بأنواعها يوم القيامة لدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة.

٥- للرسول –صلى الله عليه وسلم- عدة أنواع من الشفاعة يوم القيامة.

٦- لا تحصل الشفاعة يوم القيامة إلا بعد تحقق ثلاثة شروط وهي إذن الله –تعالى- للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له، وأن الله لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

٧- أن الخوارج والمعتزلة قد أنكروا الشفاعة لأهل الكبائرمعتمدين في ذلك على عدة شبه نقلية وعقلية لا يصح الاستدلال بها .

٨- أن القبوريين ونحوهم من المبتدعة قد أثبتوا الشفاعة لأوليائهم الأموات، وأنهم طلبوها منهم في الدنيا، وقاسوا ذلك على الشفاعات الدنيوية بين الناس، وهذا ليس بصحيح ؛ لأنهم تنقصهم الحجة ، ويعوزهم الدليل .

وفي الختام فهذا جهد المقل أقدمه، فما كان فيه من صواب فمن الله –تعالى- وهو المحمود على توفيقه، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والحمد الله الذي وفقني على الإتمام، وأسأله المغفرة في الخطأ والنقصان، وأن يسلك بي وجميع المسلمين طريقة الصراط المستقيم، وأن يجنبنا طرق المغضوب عليهم والضالين وأهل البدع والأهواء، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع:

- الإباضية تاريخا وعقيدة- د. وليد بن مساعد الطبطبائي- دار التجديد- الكويت-الطبعة الأولى-١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- الإبانة في أصول الديانة- أبو الحسن الأشعري- تحقيق: بشير محمد- دار البيان- الطبعة الرابعة- ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ابن تيمية والتصوف- مصطفى حلمي- دار الدعوة- بدون طبعة- ١٩٨٢م.
- الإحكام في أصول الأحكام- أبو محمد على بن محمد بن حزم- دار الحديث- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد- أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني- مؤسسة الكتب الثقافية- الطبعة الأولى- ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري- أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي- تحقيق: محمد بن سعود- الطبعة الأولى- ١٤٠٩هـ.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان -شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية- دار المعرفة للطباعة والنشر- تحقيق: محمد حامد الفقي.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني- تحقيق: د.ناصر العقل- مكتبة الرشد- الطبعة الخامسة-١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار- يحيى بن أبي الخير العمراني- تحقيق: د.سعود الخلف- أضواء السلف- الطبعة الأولى- ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- إيثار الحق على الخلق- عز الدين محمد بن إبراهيم اليمني (ابن الوزير)- دار الصميعي- الطبعة الأولى- ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- البداية والنهاية- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير-دار الريان - القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- تأملات في التراث العقدي للفرق الكلامية- د. عبدالسلام محمد عبده- دار الكتاب الجامعي- القاهرة- بدون طبعة ولا سنة النشر.
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة -أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- التعريفات- أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني- دار الشؤون الثقافية- بدون طبعة ولا سنة نشر.

- تعظيم قدر الصلاة- محمد بن النصر المروزي- مكتبة الدار –المدينة المنورة- الطبعة الأولى- ١٤٠٦هـ.
- تفسير ابن كثير –الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي- دار الفكر للطباعة والنشر-١٤١٠هـ.
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) –الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي- دار المعرفة في بيروت- الطبعة الأولى١٤٠٦هـ، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار.
- تفسير التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور- الدار التونسية- بدون طبعة- ١٩٨٤م.
- تفسير الكبير(مفاتيح الغيب)- لفخر الدين الرازي- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- التمهيد – لابن عبد البر- تحقيق: سعيد الغراب، ومحمد الفلاح- مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة –بدون طبعة.
- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل- محمد بن الطيب الباقلاني- تحقيق: عماد الدين حيدر- مؤسسة الكتب الثقافية- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل- الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة- دار الرشد للنشر والتوزيع-الطبعة التاسعة١٤٣٧هـ، دراسة وتحقيق: د. عبدالعزيز الشهوان.
- جامع الرسائل –شيخ الإسلام ابن تيمية–دار المدني بجدة، الطبعة الثانية١٤٠٥هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- الجامع لحكام القرآن –أبو محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- دار إحياء التراث العربي في بيروت١٩٦٧م.
- الحق الدامغ – أحمد بن حمد الخليلي- مطابع النهضة- عمان- بدون طبعة-١٤٠٩هـ.
- درء تناقض العقل والنقل- شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد- دار الكنوز- بدون طبعة-١٣٩٩هـ.
- الدين الخالص- محمد صديق خان- تحقيق: محمد النجار- مكتبة دار التراث- بدون طبعة.
- الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى الحق الدامغ- د. علي فقيهي- دار المآثر- المدينة- الطبعة الثانية- ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- أصول أهل السنة والجماعة- أبو الحسن الأشعري- دار اللواء بالرياض، الطبعة الثانية١٤١٠ه، تحقيق: د. محمد السيد.
- سنن أبى داوود- للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني- دار الحديث- بيروت- الطبعة الأولى- ١٣٩١ه-١٩٧١م.
- سنن أبي ماجة- للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني – دار الريان- القاهرة – بدون طبعة.
- شرح الأصول الخمسة –القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني- مكتبة وهبة القاهرة- الطبعة الأولى١٣٨٤ه- تحقيق: د. عبدالكريم عثمان.
- شرح الإمام مسلم- يحى بن شرف النووي- دار الريان- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.
- شرح العقيدة الطحاوية – القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز – المكتب الإسلامي- الطبعة التاسعة-١٤٠٨ه-١٩٨٨م.
- شرح العقيدة الواسطية- محمد بن صالح العثيمين- دار ابن الجوزي- القاهرة- بدون طبعة.
- شريعة- محمد بن الحسين الآجري-تحقيق: محمد حامد الفقي- دار السلام- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤١٣ه-١٩٩٠م.
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى- القاضي عياض بن موسى اليحصبي- تحقيق: علي محمد- دار الكتاب العربي- بيروت- بدون طبعة-١٤٠٤ه-١٩٨٤م.
- الشفاعة- مقبل بن هادي الوادعي- دار الأرقم- الكويت- الطبعة الثانية- ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.
- الصحاح – لإسماعيل بن حماد الجوهري- تحقيق: أحمد عطار- دار العلم للملايين- الطبعة الثالثة-١٤٠٤ه-١٩٨٤م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان- تقديم: كمال يوسف- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الاولى- ١٤٠٧ه-١٩٨٧م.
- صحيح البخاري- محمد بن إسماعيل البخاري- دار إحياء التراث الإسلامي- بيروت- بدون طبعة ولا سنة النشر.
- صحيح مسلم- مسلم بن الحجاج القشيري- دار الكتب العلمية- بيروت- بدون طبعة- ١٤١٣ه-١٩٩٢م.

- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- دار الريان- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية من علم التفسير- محمد بن علي الشوكاني- المكتبة العصرية- بيروت- بدون طبعة- ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- الفرق بين الفرق- عبدالقادر البغدادي- دار الآفاق- بيروت- الطبعة الرابعة- ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل- علي بن محمد بن حزم-تحقيق: عبدالرحمن عميرة- مكتبات عكاظ- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- في ظلال القرآن- سيد قطب- دار الشروق- بيروت- الطبعة العاشرة- ١٩٨٢م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير- المحدث المناوي- دار المعلرفة- بيروت- الطبعة الثانية-١٩٧٢م.
- كشف الشبهات –للشيخ محمد بن عبد الوهاب-ويليه شرحه للشيخ محمد بن صالح العثيمين- دار ابن الجوزي- الطبعة الأولى-١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم جاره الله الزمخشري- دار المعرفة- بيروت- بدون طبعة-ولا سنة النشر.
- لسان العرب- جمال الدين محمد بن منظور- دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى- ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية- محمد بن أحمد السفاريني- تعليق: عبدالرحمن أبا بطين، سليمان بن سحمان-المكتب الإسلامي- بيروت- الطبعة الثالثة- ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- متشابه القرآن القاضي عبدالجبار الهمذاني- دار التراث – القاهرة- تحقيق: عدنان محمد-بدون طبعة ولا سنة النشر.
- مجموع الفتاوى- شيخ الإسلام ابن تيمية- جمع: عبدالرحمن القاسم وابنه محمد- توزيع مكتبة المتنبي- دار الرحمة للنشر- القاهرة- بدون طبعة ولا سنة النشر.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لابن عطية الأندلسي- تحقيق: المجلس العلمي بفس- بدون طبعة ولا سنة النشر.
- المختار من كنوز السنة- محمد عبدالله دراز- مطبعة محمد الكتبي- بدون طبعو- ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- ابن قيم الجوزية- تحقيق: محمد الفقي- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة الثالثة- ١٣٩٣ه- ١٩٧٣م.
- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة- تحقيق: عبد الإله بن سليمان الأحمدي- دار طيبة- الرياض- الطبعة الأولى- ١٤١٢ه-١٩٩١م.
- المستدرك على الصحيحين- محمد بن عبد الله الحاكم- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١١ه-١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد- أحمد بن حنبل الشيباني- دار صادر- بيروت- بدون طبعة ولا سنة نشر.
- معجم مقاييس اللغة- لابن فارس- تحقيق: عبدالسلام محمد هارون- مطبعة الحلبي- القاهرة- الطبعة الثانية-١٣٩٠ه-١٩٧٠م.
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين- أبو الحسن الأشعري- المكتبة العصرية- بيروت- بدون طبعة-١٤١٦ه-١٩٩٥م.
- منهاج السنة- شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق: محمد رشاد سالم-مكتبة ابن تيمية- القاهرة- الطبعة الثانية- ١٣٠٩ه-١٩٨٦م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية-إصدار وزارة الشؤون الإسلامية -الكويت- مطبعة المقوي- بون طبعة ولا سنة النشر.
- النهاية في الفتن والملاحم- أبو الفداء إسماعيل بن كثير- دار التراث الإسلامي- القاهرة-تحقيق: محمد أحمد- بدون طبعة ولاسنة النشر.
- النهاية في غريب الحديث والأثر- مجدالدين المبارك بن محمد بن الأثير- دار الفكر- الطبعة الثانية- ١٣٩٩ه.